السلسلة الأنصارية
(١)

١- كشف الستر عما ورد في السفر الى القبر

٢- اسعاف الخلان بما ورد في ليلة النصف من شعبان

٣- تحفة القاري في الرد على الغماري

الشيخ حماد بن محمد الأنصاري



بسم الله الرحمن الرحيم

كشف الستر عما ورد في السفر إلى القبر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

وبعد فقد ورد إلي سؤال صورته: وقع بين شخصين نزاع، هل يجوز لشخص أن ينوي السفر لمجرد زيارة قبر النبي ﷺ دون المسجد؟ أفتونا، والله يحفظكم.

والجواب: أن زيارة القبور كان منهياً عنها في أول الاسلام لقرب الناس آنذاك من عبادة الأصنام ثم نسخ ذلك بقوله ﷺ: «كنتُ نهيتكم عن زيارة القبور، فزوروها فإنها تذكركم الآخرة.» وأبيحت الزيارة للرجال دون النساء وبقيت في حق النساء محرمة إلى يوم القيامة لحديث ابن عباس رضي الله عنهما عند أبي داود والترمذي وغيرهما: «لعن رسول الله ﷺ زائرات القبور... الحديث.»[1] كما أن شد الرحل إلى قبرٍ مخصوص محرمٌ لحديث أبي هريرة في الصحيحين: «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة

---

(١) حديث صحيح من طريق أبي صالح عن ابن عباس، وأبو صالح هذا قيل: باذام مولى ام هانىء، وقيل ميزان البصري. فعلى كلٍ من القولين فالحديث صحيح، لأن باذام إذا روى عنه محمد بن جحادة فحديثه صحيح، وهذه الرواية من روايته عنه بخلاف ما إذا روى عنه الكلبي وأمثاله. وأما على القول بأن أبا صالح هذا هو ميزان البصري فلا خلاف في صحة هذه الرواية لأنه ثقة، وليس في سنده انقطاع ولا تدليس ولا إرسال.

مساجد . . . الحديث . » وفي هذا الحديث الأخير مشروعية شد الرحل إلى أحـد المسـاجـد الثـلاثـة : المسجد الحرام ، والمسجد النبوي ، والمسجد الأقصى . وأمـا ما سوى هذه المسـاجـد الثـلاثـة فقد دل هذا الحديث الصحيح على أنه لا يجوز شد الرحل إليه بمجرده . وذلك إذا كان يقصد الزائر مجرد زيارة قبر النبي ﷺ دون المسجد . وأما إذا قصد المسجد ثم زار القبر الشريف فهذا مشروع لما تقدم من مشروعية زيارة القبور للرجال .
ولم يرد عن النبي ﷺ نصٌ صحيح في جواز شد الرحال إلى قبر مخصوص سواء كان قبره ﷺ أو قبر غيره ، فمن ثَمَّ لم ينقل عن أحد من أصحابه رضـي الله عنهم ولا عن أحد من التابعين لهم بإحسان أنه شد رحلاً لمجرد قصد زيارة قبره ﷺ ولا لمجرد زيارة قبر غيره .

عن عائشة رضـي الله عنها مرفوعاً : «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد . » فالخير في اتباع السلف والشر في ابتداع الخلف .

هذا وقد استدل بعض المتأخرين ممن ينتمي إلى العلم على مشروعية مجرد قصد زيارة القبر الشريف أو غيره بأدلة إما موضوعة أو ضعيفة جدا لا تثبت بمثلها الأحكام الشرعية كما هو معلوم عند أهل التحقيق والمعرفة بالحديث ، أذكرها مع بيان بطلانها أو ضعفها بما قاله أئمة الشان ، فأقول بعد الاستعانة بالله :

أدلة المجيزين لشد الرحل وعدم قابليتها للإستدلال بها على دعواهم أربعة عشر حديثاً

١- «من زار قبري وجبت له شفاعتي» أخرجه أبو الشيخ وابن أبي الدنيا عن ابن عمر، وهو في صحيح ابن خزيمة وأشار إلى تضعيفه، وقال: «في القلب من سنده شيء، وأنا أبرأ إلى الله من عهدته.»
قلت: وفيه مجهولان.
أ - عبدالله بن عمر العمري، قال أبو حاتم: مجهول.
ب - موسى بن هلال البصري العبدي، قال أبو حاتم: مجهول. وقال العقيلي: لا يصح حديثه، ولا يُتابع عليه، يعني هذا الحديث. وقال الذهبي: وأنكرُ ما عنده حديثه عن عبدالله بن عمر عن نافع عن ابن عمر.. فذكر هذا الحديث. وفي رواية: «من زار قبري حلت له شفاعتي».

٢- «من حج فزار قبري بعد وفاتي كان كمن زارني في حياتي.» أخرجه الطبراني والبيهقي عن ابن عمر، وفيه حفص بن سليمان القارى، قال ابن عدي: رُمي بالكذب والوضع. وقال الامام أحمد بن حنبل: متروك الحديث. وقال البخاري: تركوه. وقال ابن خراش: كذاب يضع الحديث. وذكر الذهبي هذا الحديث من منكراته بما لفظه: «وفي ترجمته في كتاب الضعفاء للبخاري تعليقاً: إبن أبي القاضي حدثنا سعيد بن منصور حدثنا حفص بن سليمان عن ليث عن مجاهد عن ابن عمر مرفوعاً: «من حج وزارني بعد موتي... الحديث.»

٣- «من زارني بالمدينة محتسباً كنت له شهيداً أو شفيعاً يوم القيامة.» أخرجه البيهقي عن أنس، وفيه أبو المثنى سليمان بن يزيد الكعبي، قال الذهبي: متروك. وقال أبو حاتم: منكر الحديث. وقال إبن

حبان لا يجوز الاحتجاج به.

٤ـ «من حج ولم يزرني فقد جفاني.» قال السخاوي في المقاصد: لايصح، أخرجه إبن عدي في الكامل وابن حبان في الضعفاء والدارقطني في العلل وغرائب مالك عن ابن عمر مرفوعاً. وقال الذهبي في الميزان: بل هو موضوع.

٥ـ «من زار قبري ـ أو قال من زارني ـ كنت له شفيعاً أو شهيداً، ومن مات بأحد الحرمين بعثه الله من الآمنين يوم القيامة.» أخرجه أبو داود الطيالسي في مسنده عن عمر بن الخطاب، وفيه مجهول وسنده كما يلي: قال أبو داود: حدثنا سوار بن ميمون أبو الجراح العبدي قال حدثنا رجل من آل عمر عن عمر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول... الحديث.

٦ـ «من زارني بعد موتي فكأنما زارني في حياتي، ومن مات بأحد الحرمين بعث من الآمنين يوم القيامة.» أخرجه الدارقطني في سننه وابن عساكر عن حاطب، وفيه هارون أبو قزعة أو ابن أبي قزعة، قال البخاري: لا يتابع على هذا الحديث. وشيخ أبي قزعة أيضا مجهول، وقد ذكر الذهبي في الميزان حديث حاطب هذا وحديث عمر الذي قبله من منكرات هارون بن أبي قزعة.

٧ـ «من زارني وزار أبي ابراهيم في عام واحدٍ دخل الجنة.» قال النووي في المجموع: حديث موضوع، لاً أصل له ولم يروه أحد من أهل العلم بالحديث.

٨ـ «من جاءني زائراً لم تنزعه حاجة إلا زيارتي كان حقاً عليَّ أن أكون له شفيعاً يوم القيامة.» أخرجه ابن النجار في الدرة الثمينة في تاريخ المدينة والدارقطني في سننه، وفيه مسلمة بن سالم قال الذهبي في ديوان الضعفاء: فيه تجهم. وقال ابن عبدالهادي في الصارم: مجهول الحال لم يُعرف بنقل العلم ولا يحل الاحتجاج بخبره وهو شبيه موسى ابن هلال العبدي المتقدم.

٩- «من لم يزر قبري فقد جفاني.» رواه ابن النجار في تاريخ المدينة بلا سند بصيغة التمريض ولفظه: ورُوي عن علي قال: قال رسول الله ﷺ: ... الحديث.

قال ابن عبدالهادي: هذا الحديث من الموضوعات المكذوبة على علي بن أبي طالب.

قلت: وفي سنده النعمان بن شبل الباهلي كان متهمًا. وقال ابن حبان: يأتي بالطامات. وذكره الذهبي في الميزان وفي سنده أيضاً محمد ابن الفضل بن عطية المديني كذاب مشهور بالكذب ووضع الحديث. قال الذهبي في الميزان: قال احمد: حديثه حديث أهل الكذب. وقال ابن معين: الفضل بن عطية ثقة وابنه محمد كذاب. وقال الذهبي: مناكيرُ هذا الرجل كثيرة لأنه صاحب حديث. وقال أيضا: قال الفلاس: كذاب. وقال البخاري: سكتوا عنه رماه ابن أبي شيبة بالكذب. وقد رُوي هذا الحديث عن علي مرفوعاً بسند فيه عبدالملك ابن هارون بن عنترة وهو متهم بالكذب ووضع الحديث. قال يحيى: كذاب. وقال أبو حاتم: متروك ذاهب الحديث. وقال السعدي: كذاب. وقال الذهبي: واتهم بوضع حديث «من صام يوماً من أيام البيض عُدِلَ عشرة آلاف سنة» ولهذا الكذاب - أعني عبدالملك بن هارون - له بلايا كثيرة تراجع في الميزان للذهبي.

١٠- «من أتى زائراً لي وجبت له شفاعتي... الحديث.» أخرجه يحيى الحسيني عن بكير بن عبدالله مرفوعاً. وقال ابن عبدالهادي: هذا حديث باطل لا أصل له. مع أنه ليس فيه دليل على محل النزاع وهو السفر إلى القبر.

١١- «من لم تمكنه زيارتي فليزر قبر إبراهيم الخليل.» قال ابن عبدالهادي: هذا من الأحاديث المكذوبة والأخبار الموضوعة وأدنى مَنْ يُعَدُّ مِنْ طلبة العلم يعلم أنه حديث موضوع وخبر مفتعل مصنوع، وذكرُ مثل هذا الكذب من غير بيان لحاله قبيح بمن

ينتسب إلى العلم.

١٢- «من حج حجة الاسلام وزار قبري وغزا غزوة وصلى عليَّ في بيت المقدس لم يسأله الله فيما افترض عليه.» رواه ابو الفتح الأزدي في الجزء الثاني من فوائده بسنده إلى أبي سهل بدر بن عبدالله المصيصي عن الحسن بن عثمان الزيادي. قال الذهبي: حديث بدر عن الحسن بن عثمان الزيادي باطل يعني هذا الحديث. وقد رواه عنه النعمان بن هارون هذا مع أن أبا الفتح الأزدي ضعيف. وقال ابن الجوزي: كان حافظاً ولكن في حديثه مناكير وكانوا يضعفونه، وقال الخطيب: متهم بوضع الحديث ضعفه البرقاني وأهل الموصل لا يعدونه شيئاً.

١٣- «من زارني حتى ينتهي إلى قبري كنت له يوم القيامة شهيداً أو قال شفيعا.» أخرجه العقيلي في الضعفاء عن ابن عباس مرفوعاً ومن طريقه أخرجه ابن عساكر. هذا حديث موضوع على ابن جريج قال ابن عبدالهادي: قد وقع تصحيف في متنه وإسناده. أما التصحيف في متنه فقوله «من زارني» من الزيارة وإنما هو «من رآني في المنام كان كمن رآني في حياتي» هكذا في كتاب العقيلي في نسخة ابن عساكر «من رآني» من الرؤيا فعلى هذا يكون معناه صحيحاً لقوله ﷺ: «من رآني في المنام فقد رآني، لأن الشيطان لا يتمثل بي» وأما التصحيف في سنده فقوله «سعيد بن محمد الحضرمي» والصواب «شعيب بن محمد» كما في رواية ابن عساكر. فعلى كل حال فهذا الحديث ليس بثابت سواءً كان بلفظ الزيارة أو الرؤيا لأن راويه فضالة بن سعيد ابن زميل المزني شيخ مجهول لا يعرف له ذكر إلا في هذا الخبر الذي تفرد به ولم يتابع عليه وقال الذهبي: قال العقيلي: حديثه غير محفوظ، حدثناه سعيد بن محمد الحضرمي حدثنا فضالة حدثنا محمد ابن يحيى عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس مرفوعاً: «من زارني في مماتي كان كمن زارني في حياتي.» وقال الذهبي: هذا

موضوع على ابن جريج.

١٤ـ «ما من أحد من أمتي له سعة ثم لم يزرني فليس له عذر.» أخرجه إبن النجار في تاريخ المدينة عن أنس وفيه سمعان بن المهدي قال الذهبي: سمعان بن المهدي عن أنس بن مالك حيوان لا يُعرف، له نسخة مكذوبة رأيتها قبَّح الله من وضعها. قال ابن حجر في اللسان: وهذه النسخة من رواية محمد بن المقاتل الرازي عن جعفر ابن هارون الواسطي عن سمعان فذكر النسخة وهي أكثر من ثلاث مائة حديث.

* * *

قلت: هذه أربعة عشر حديثاً يستدل بها القائلون على جواز شد الرحل إلى القبر، وهذا جملة ما احتج به مَنْ أجاز شد الرحل إلى زيارة القبر الشريف بمجرده. فقد تبين لك أن جميع هذه الأخبار ليس فيها حديث صحيح ولا حسن بل كلها ضعيفة جدا أو موضوعة لا أصل لها كما تقدم لك عن أئمة هذا الشان مفصلاً، فلا تغتر بكثرة طرقها وتعددها، فكم من حديث له طرق أضعاف هذه الطرق التي سردناها عليك ومع ذلك فهو موضوع عند أهل الباب لأن الكثرة لا تفيد إذا كان مدارها على الكذابين أو المتهمين أو المتروكين أو المجهولين كما سمعت في هذه الأحاديث فانها لا تخلو من كذاب أو متهم أو متروك أومجهول لا يعرف أبداً، ومثل هذا لا يصلح للتقوية كما هو معلوم عند أهل هذا الفن، هذا إذا لم يكن من الصحيح ما يُبطلها فكيف وهو موجود ومعلوم في الصحيح كما تقدم مِنْ منع شد الرحل إلى غير المساجد الثلاثة.

قال شيخ الاسلام ابن تيمية في اقتضاء الصراط المستقيم في مخالفة أصحاب الجحيم: لم يثبت عن النبي ﷺ حديثٌ واحد في زيارة قبر مخصوص ولا روى في ذلك شيئاً لا أهل الصحيح ولا السنن ولا الأئمة المصنفون في المسانيد كالإمام أحمد وغيره وإنما روى هذه الأحاديث مَنْ جَمَعَ الموضوع وغيره، وأجلُّ حديث روي في ذلك حديث رواه الدارقطني، ومع

ذلك فهو ضعيف باتفاق أهل العلم، بل الأحاديث المروية في زيارة قبره ﷺ كقوله: «من زارني وزار أبي إبراهيم الخليل في عام واحد ضمنت له على الله الجنة.» و «من زارني بعد مماتي فكأنما زارني في حياتي»[٢] و «من حج ولم يزرني فقد جفاني.» ونحو هذه الأحاديث مكذوبة موضوعة» انتهى كلام ابن تيمية.

قلت: هذا هو الصواب الذي يجب أن يُدان الله به، ومن كان عنده حديثٌ صحيحٌ في هذا الموضوع - أعني في جواز شد الرحل إلى قبر مخصوص - فعليه بالبيان، وأما هذه الأحاديث فهي كما قدمت إما أحاديث موضوعة مكذوبة وإما أحاديث ليست في شد الرحل بل هي في الزيارة المشروعة المجمع عليها، وفي هذه الزيارة نصوصٌ صحيحةٌ صريحةٌ تُغني عن هذه البواطل التي لا يصح الاحتجاج بها في ثبوت حكمٍ من الأحكام الشرعية كائناً ما كان بل ولا تجوز روايتها إلا مع بيان أنها موضوعة أو ضعيفة لا تصلح للاحتجاج بها لئلا يدخل في قوله ﷺ «مَنْ حدَّث عني بحديث يُرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين» عند مسلم وغيره عن المغيرة بن شعبة وسمرة بن جندب مرفوعاً بألفاظ متعددة والله أعلم. وصلى الله على نبينا محمد وآله وسلم.

---

(٢) ورد هذا ايضاً في حديث طويل عن عثمان بن مظعون، وفي سنده ضعيف وكذاب ومجاهيل، فالكذاب القاسم العمري، قال أحمد: كان يكذب ويضع، ومع الأسف ذكره إبن الجوزي في تلبيس إبليس كعادته في كتبه من ذكر الموضوعات دون البيان. تلبيس إبليس (ص ٢١٩).

إسعاف الخلان بما ورد
في ليلة النصف من شعبان

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.

هذا وقد جاءت أحاديث كثيرة في ليلة النصف من شعبان قد أفردها بعض العلماء بالتأليف، منهم: الحافظ السخاوي ذكر في كتاب «المقاصد الحسنة» (ص ٣٥) منه، أنه أفرد في شعبان جزءاً ولم أقف أنا على هذا الجزء حتى يتسنى لي النظر فيه للاطلاع على ما حواه، وكذلك ألف في وظائف الشهور الحافظ ابن رجب كتابه المعروف بـ «لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف» ذكر فيه ما تيسر له الوقوف عليه من الأحاديث في كل باب، وقد أفرد شهر رجب الحافظ المشهور أبو الفضل أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ) أفرد هذا الشهر الحرام برسالةٍ قيمةٍ باسم «تبيين العجب بما ورد في فضل رجب»، ذكر في هذه الرسالة الأخبار الواردة في فضل هذا الشهر صحيحها وضعيفها وموضعها وغير ذلك من الفوائد.

فبناءً على هذا رأيتُ أن أجمع في هذه العجالة ما جاء في ليلة النصف من شعبان من الأخبار والآثار وأقوال العلماء مع بيان الضعيف من تلك الأخبار والصحيح والحسن، وسميت هذه الرسالة «إسعاف الخلان بما ورد في ليلة النصف من شعبان»، فأقول وعلى الله التكلان:

لم يثبت في قيامها وصيامها بعينها شيءٌ عن النبي ﷺ ولا عن أصحابه، وثبت فيها عن طائفةٍ من التابعين من أعيان فقهاء أهل الشام كخالد بن معدان ومكحول ولقمان بن عامر وغيرهم يعظمون هذه الليلة ويجتهدون فيها في العبادة وعنهم أخذ الناس فضلها وتعظيمها، وقد قيل إنه بلغهم في ذلك آثار إسرائيلية، فلما اشتهر ذلك عنهم في البلدان واختلف الناس في ذلك. فمنهم من قَبلَهُ ومنهم من وافقهم على تعظيمها، منهم

طائفة من عباد أهل البصرة وغيرهم وأنكر ذلك أكثر علماء الحجاز منهم عطاء وابن أبي مليكة، ونقله عبدالرحمن بن زيد بن أسلم عن فقهاء أهل المدينة وهو قول أصحاب مالك وغيرهم، وقالوا ذلك كله بدعة.

واختلف علماء الشام في صفة إحيائها على قولين: أحدهما: أنه يستحب إحياؤها جماعة في المساجد، كان خالد بن معدان ولقمان بن عامر وغيرهما يلبسون فيها أحسن ثيابهم ويتبخرون ويتكحلون ويقومون في المسجد ليلتهم تلك، ووافقهم إسحاق بن راهويه على ذلك وقال في قيامها في المساجد جماعة: ليس ذلك ببدعة. نقله عنه حرب الكرماني في مسائله.

والثاني: أنهُ يكره الاجتماع فيها في المساجد للصلاة والقصص والدعاء و لا يُكره أن يصلي الرجل فيها لخاصة نفسه، وهذا قول الأوزاعي إمام أهل الشام وفقيههم وعالمهم، وهذا هو الأقرب إن شاء الله تعالى. إنتهى كلام ابن رجب.

والأحاديث في فضل هذه الليلة متعددة

وقد اختلف فيها، فضعفها الأكثرون، وصحح ابن حبان بعضها، وخرجه في صحيحه، منها:

١ـ حديث علي بن أبي طالب عند ابن ماجه في سننه من طريق ابن أبي سبرة وهو أبو بكر بن عبدالله بن محمد أبو سبرة عن إبراهيم بن محمد عن معاوية بن جعفر عن أبيه عن علي مرفوعاً: «إذا كانت ليلة النصف من شعبان فقوموا ليلها وصوموا نهارها، فإنَّ الله ينزل فيها لغروب الشمس إلى سماء الدنيا. . . الحديث» هذا إسناد ضعيف لضعف ابن أبي سبرة، قال الامام أحمد وابن معين: يضع الحديث (تعليق السندي ص ١١٧).

قلت: وهو أبو بكر بن عبدالله بن محمد بن أحد البدريين أبي سبرة ابن أبي رهم العامري، ضعفه البخاري. قال أحمد: كان يضع الحديث. وقال أبو داود: كان مفتي المدينة. وقال النسائي: متروك، وبعد وفاته ولي

القضاء أبو يوسف وكان قد خرج على المنصور مع ابن حسن وكان تحت يده صدقات فأمد ابن حسن بأربعة وعشرين ألف دينار فأسر وسجن مقيداً ثم وقع هياج بالمدينة بعد أشهر فكسر عبيد المدينة السجن وخرجوه وأرادوا فك قيده فقال: هذا ما يفوت، ثم وقف في أسفل المنبر وحرَّضَ الناس على الطاعة وحذَّر من شق العصا، فرعى له ذلك المنصور وقال: قد أساء ثم أحسن ثم ولي القضاء. وذكر الذهبي هذا الحديث من مناكيره. وقال ابن معين: ليس حديثه بشيء. من الميزان (٤ : ٥٠٤).

وقال الحافظ في التقريب: قيل إسمه عبدالله وقيل محمد، وقد يُنسب إلى جده، رموه بالوضع. وقال مصعب الزبيري: كان غالياً، مات سنة ١٦٢ هـ، ذكره ابن عرّاق في الكذابين (١ : ١٣١).

وذكره الفتني في قانون الموضوعات والضعفاء (ص ٣٠٨) وقال: هو متروك. وقال أيضاً: مفتي المدينة وقاضي العراق.

وذكره برهان الدين الحلبي قبلهما في «الكشف الحثيث عمن رمي بوضع الحديث» وقال: كان يضع الحديث... الخ. (ص ٣٤٨ مخطوط). وذكره أيضاً في ص ٣٠١.

٢ـ وحديث عائشة قالت: قام رسول الله ﷺ من الليل... الحديث. رواه البيهقي فقال: هذا مرسلٌ جيد. ويحتمل أن يكون العلاء أخذه من مكحول. وأخرجه ايضا البزار والبيهقي بإسنادٍ لا بأس به عن أبي بكر الصديق. وحديث صلاةُ نصف شعبان حديث باطل، رواه ابن ماجه من حديث علي رضي الله عنه «إذا كانت ليلة النصف من شعبان... الحديث.» وإسناده ضعيف... الخ، (تخريج العراقي للأحياء ١ : ٢٠٣).

وقال الفتني في تذكرته (ص ٤٥): حديث صلاة نصف شعبان باطل. قال علي بن إبراهيم: ومما أحدث في ليلة النصف الصلاة الألفية مائة ركعة بالاخلاص عشراً عشراً بالجماعة، واهتموا بها أكثر من الجمع والأعياد ولم يأت بها خبرٌ ولا أثرٌ إلا ضعيفٌ أو موضوع ولا يغتر بذكر

صاحب القوت والإحياء لها وغيرهما ولا بذكر تفسير الثعلبي أنها ليلة القدر، وكان للعوام بهذه الصلاة إفتتانٌ عظيمٌ حتى التزم بسببها كثرة الوقود وترتب عليه من الفسوق وانتهاك المحارم ما يُغني عن وصفه ،حتى خشي الأولياء من الخسف وهربوا فيها إلى البراري .

وأول حدوث هذه الصلاة ببيت المقدس سنة ٤٤٨ هـ:

وقال زيد بن أسلم : ما أدركنا أحداً من مشايخنا وفقهائنا يلتفتون إلى ليلة البراءة وفضلها على غيرها . وقال ابن دحية : أحاديث صلاة البراءة موضوعة ، وواحد مقطوع ، ومن عمل بخبر صح أنه كذب فهو من خدم الشيطان . قال علي بن إبراهيم : ولقد رأينا كثيرا ممن يصلي هذه الصلاة في الليلة القصيرة فيفوتهم الفجر ويصبحون كسالى . قال : وقد جعلها جهلة أئمة المساجد مع صلاة الرغائب ونحوها شبكةً لجمع العوام وطلباً لرئاسة التقدم وملأ بذكرها القصاص مجالسهم وكلٌ عن الحق بمعزل، ثم أنه تعالى أقام أئمة الهدى في سعي إبطال هذه الصلاة فتلاشى أمرها إلى أن صارت تصلى لعباً ولهواً وتكامل إبطالها في البلدان المصرية والشامية في أوائل سنين المائة الثامنة .

وقد ضَعَّف ابنُ العربي حديث عائشة في صلاة النصف مطلقاً، وعتقاء النار بعدد شعر غنم كلب .

قال أبو عيسى : حديث عائشة لا نعرفه إلا من هذا الوجه من حديث الحجاج ، وسمعت محمداً يضعف هذا الحديث . وقال : يحيى بن أبي كثير لم يسمع من عروة . قال محمد : والحجاج لم يسمع من يحيى بن أبي كثير. قال ابن القيم في المنار: ومن الأحاديث الموضوعة أحاديث صلاة ليلة النصف من شعبان وذكرها (ص ٩٨) .

قال شيخ الاسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ في «إقتضاء الصراط المستقيم» (٢ : ٦٢٦ـ٦٢٨) «قد رُوي في فضلها ـ يعني ليلة النصف من

شعبان ـ من الأحاديث المرفوعة والآثار ما يقتضي أنها ليلة مفضلة، وأن من السلف من كان يخصها بالصلاة فيها، وصومُ شهر شعبان قد جاءت فيه أحاديث صحيحة، ومن العلماء من السلف من أهل المدينة وغيرهم من الخلف من أنكر فضلها وطعن في الأحاديث الواردة فيها كحديث: «إن الله يغفر فيها لأكثر من عدد شعر غنم بني كلب» وقال: لا فرق بينها وبين غيرها. ولكن الذي عليه كثيرٌ من أهل العلم وأكثرهم من أصحابنا وغيرهم على تفضيلها، وعليه يدل نص أحمد لتعدد الأحاديث الواردة فيها، وما يصدق ذلك من الآثار السلفية، وقد رُوِيَ بعضُ فضائلها في المسانيد وإن كان قد وُضع فيها أشياء أخر.

فأما صوم يوم النصف مفرداً فلا أصل له بل إفراده مكروه، وكذلك اتخاذه موسماً تُصنع فيه الأطعمة وتُظهر فيه الزينة، وهو من المواسم المحدثة المبتدعة التي لا أصل لها.

وكذلك ما قد أحدث في ليلة النصف من الاجتماع العام للصلاة الألفية في المساجد الجامعة ومساجد الأحياء والدور والأسواق، فإنَّ هذا الاجتماع لصلاة نافلةٍ مقيدةٍ بزمانٍ وعددٍ وقدر من القراءة مكروه لم يشرع فإنَّ الحديث الوارد في الصلاة الألفية موضوعٌ باتفاق أهل العلم بالحديث وما كان هكذا لا يجوز استحباب صلاةٍ بناءً عليه.

وإذا لم يستحب فالعمل المقتضي لاستحبابها مكروهٌ، ولو سوغ أن كل ليلة لها نوع فضل تخص بصلاة مبتدعة يجتمع لها لكان يفعل مثل هذه الصلاة أو أزيد أو أنقص ليلتي العيدين وليلة عرفة كما أن بعض أهل البلاد يُقيمون مثلها أول ليلة من رجب.

وكما بلغني أنه كان بعض أهل القرى يصلون بعد المغرب صلاةً مثل المغرب في جماعةٍ يسمونها صلاة بر الوالدين.

وكما كان بعض الناس يصلي كل ليلة في جماعة صلاة الجنازة على من مات من المسلمين في جميع الأرض ونحو ذلك من الصلوات الجماعية التي

لم تشرع . . . الخ . إنتهى كلام شيخ الاسلام .

وقال أبو شامة : «وطعن فيه البخاري من وجهين : أحدهما : أن الحجاج لم يسمع من يحيى بن أبي كثير، ولم يسمع يحيى من عروة، فالحديث منقطع في موضعين، وأيضاً فإن الحجاج ليس بحجة . وقال : وليس في ليلة النصف من شعبان حديث ساوى سماعه . » (الباعث على إنكار البدع والحوادث ص ٢٩) .

وقال ابن وضاح في النهي عن البدع : ما جاء في ليلة النصف من شعبان قال : حدثنا هارون بن سعيد قال : حدثنا ابن وهب قال : حدثنا عبدالرحمن بن زيد بن أسلم قال : لم أدرك أحدا من مشائخنا ولا فقهائنا يلتفتون إلى ليلة النصف من شعبان، ولم ندرك أحداً منهم يذكر حديث مكحول ولا يرى لها فضلاً على ما سواها من الليالي، قال ابن أبي زيد : والفقهاء لم يكونوا يصنعون ذلك .

قال : حدثنا ابن أبي مريم قال حدثنا نعيم بن حماد قال حدثنا عبدالرزاق عن معمر عن ابن أبي مليكة قال : قيل له إن زياد النميري يقول : إنَّ ليلة النصف من شعبان أجرها كأجر ليلة القدر . فقال ابن أبي مليكة : لو سمعته منه وبيدي عصا لضربته بها، وكان زياد قاضياً (ص ٢٦)

قال أبو شامة في البدع والحوادث ص ٢٨ : «من جملة الأحاديث التي رووها في ليلة النصف ما أخرجه ابن ماجه عن علي وعن عائشة . . . الخ، وكلّ ذلك بأسانيد ضعاف، فالأول : فيه ابن أبي سبرة عن إبراهيم بن محمد، وفي الثاني : الحجاج بن أرطأة، وفي الثالث : عن أبي موسى الأشعري، ابن لهيعة، وذكر الحافظ أبو بكر البيهقي في كتاب الدعوات الكبير الذي أنبأنا به أبو القاسم القاضي أنبأنا أبو عبدالله الفراوي قال أخبرنا البيهقي قال : باب القول والدعاء ليلة البراءة . فذكر حديثين عن عائشة . وقد أخرج حديث عائشة الترمذي في جامعه وطعن فيه، قال أبو

بكر بن العربي في شرحه عارضة الأحوذي : باب ليلة النصف من شعبان : ذكر أبو عيسى في ذلك حديث الحجاج بن أرطأة عن يحيى بن أبي كثير عن عروة وطعن البخاري فيه من وجهين أحدهما : أن الحجاج لم يسمع من يحيى بن أبي كثير ولم يسمع يحيى عن عروة، فالحديث منقطع في موضعين وأيضاً فإن الحجاج ليس بحجة قال : وليس في ليلة النصف من شعبان حديثٌ ساوى سماعه ثم قال : وقد أولع الناس بها في أقطار الأرض. حضرتُ في شعبان بدمشق كسوفاً قمرياً، فاجتمع الخلق للكسوف، واتفق لهم مع الكسوف تلك الليلة واتصلت لهم الليلتان فما رأيت منكراً قط كان أجمع منه ولا أجمل.

وذكر البيهقي في كتاب الدعوات الكبير الذي أنبأنا به أبو القاسم القاضى أنبأنا أبو عبدالله الفراوي أخبرنا البيهقي قال : باب الدعاء والقول ليلة البراءة، فذكر حديثين عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ صلى ليلتئذ وقال : «في هذه الليلة يكتب كل مولود وهالك من بني آدم، وفيها ترفع أعمالهم وتنزل أرزاقهم». وقال في الرواية الأخرى : «إن لله في تلك الليلة عتقاء من النار بعدد شعر غنم كلب، ثم قال البيهقي : في هذا الاسناد بعض من يُجهل، وكذلك فيما قَبْلَهُ وإذا انضم أحدهما إلى الآخر أخذَ بعضَ القوة، والله أعلم»، وقد أطال أبو شامة الكلام على هذه الليلة بما شاهده من المنكرات التي يرتكبها الناس في زمنه من جراء اتخاذهم هذه الليلة موسماً.

وقال ابن كثير في تفسيره (٤ : ١٢٧) «ومن قال : إن الليلة المباركة في سورة الدخان هي ليلة النصف من شعبان كما رُويَ عن عكرمة فقد أبعد النجعة، فإنَّ نصَّ القرآن أنها في رمضان، والحديث الذي رواه عبدالله بن صالح عن عقيل عن الزهري أخبرني عثمان بن محمد بن المغيرة بن الأخنس قال : إن رسول الله ﷺ قال : «تقطع الآجال من شعبان إلى شعبان حتى أن الرجل لينكح ويولد له وقد أخرج اسمه في الموتى.» فهو حديث مرسل لا يُعارض به النصوص.» أ. هـ.

وقال القرطبي : ومن العلماء من قال : إن ليلة القدر في شعبان وهي ليلة النصف من شعبان وهو قول باطل، لأن الله تعالى قال في كتابه الصادق القاطع ﴿شَهْرُ رَمَضانَ الَّذي انزلَ فيهِ القُرآنُ﴾ الآية. فنصَّ على أن ميقات نزوله رمضان ثم عينَّ من زمانه الليل ههنا ﴿في لَيْلَةٍ مباركةٍ﴾ فمن زعم أنه في غيره فقد أعظم الفرية على الله، وليس في ليلة النصف من شعبان حديثٌ يعول عليه لا في فضلها ولا في نسخ الآجال فيها فلا تلتفتوا إليها». هكذا في القرطبي (١٦ : ١٢٨).

فصل:أحاديث نزول الرب عز وجل في ليلة النصف من شعبان

وبعد إجمال الكلام على الأحاديث التي وردت في فضل هذه الليلة نذكرها مفصلةً بأسانيدها لكي يطلع القارىء على حقيقة كل حديث منها. وقد بينتُ عند ذكر كل واحد منها في الفصل ما قيل في السند جرحاً وتعديلاً.

فأقول وبالله نستعين: الحديث الأول حديث عائشة: أخرجه الامام أحمد والترمذي وابن ماجه كلهم بسندٍ واحد واللفظ للامام أحمد قال في مسنده: حدثنا يزيد بن هارون قال أخبرنا الحجاج بن أرطأة عن يحيى بن أبي كثير عن عروة عن عائشة قالت: فقدت النبي ﷺ فخرجت فإذا هو بالبقيع رأسه إلى السماء فقال: «أكنت تخافين أن يحيف الله عليك ورسوله؟» فقلت: يارسول الله، ظننتُ أنك أتيت بعض نسائك. فقال: «إن الله تبارك وتعالى ينزل ليلة النصف من شعبان إلى سماء الدنيا فيغفر لأكثر من عدد شعر غنم كلب».

وقال الترمذي: حدثنا أحمد بن منيع أخبرنا يزيد بن هارون. . . مثل سند الامام أحمد ثم قال: «وفي الباب عن أبي بكر الصديق.» إشارةً إلى حديثٍ أخرجه البيهقي في شعبه. وسيأتي الكلام عليه إن شاء الله.

قال أبو عيسى الترمذي: «حديث عائشة لا نعرفه إلا من هذا الوجه

يعني من حديث الحجاج. وسمعت محمد بن إسماعيل البخاري يقول: هذا الحديث ضعيف. وقال: يحيى بن أبي كثير لم يسمع من عروة وكذلك الحجاج لم يسمع من يحيى بن أبي كثير». هكذا في الجامع (٣: ٢٩٩).

قال الحافظ في التقريب: الحجاج صدوق كثير الخطأ والتدليس. وكذلك قال في يحيى بن أبي كثير: ثقة ثبت لكنه يدلس ويرسل.

وفي هذا الحديث آفتان:

١ـ تدليس الحجاج وقد عنعن.

٢ـ تدليس يحيى بن أبي كثير وقد عنعن أيضاً.

وبهاتين الآفتين ضَعَّفَهُ إمام أهل الحديث البخاري.

وأخرج ابن ماجه هذا الحديث أيضاً بسند الامام أحمد والترمذي عن عائشة رضـي الله عنها انتهى من (ص ٢١٧).

وأخرج البيهقي في شعبه قال: أخبرنا أبو عبدالله الحافظ حدثني أبو بكر محمد بن أحمد بن حمدان المروزي بمرو حدثنا أبو سعيد مكي بن خالد ابن الفضل السرخسي حدثنا سعيد بن يعقوب الطالقاني حدثنا عبدالله ابن المبارك عن يعقوب بن القعقاع عن الحجاج عن يحيى بن أبي كثير عن عروة عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «إذا كانت ليلة النصف من شعبان يغفر الله من الذنوب أكثر من عدد شعر غنم . . .» كما تقدم.

قال أبو عبدالله: إنما المحفوظ هذا الحديث من حديث الحجاج بن أرطاة عن يحيى بن أبي كثير مرسلاً كما أخبرنا أبو عبدالله الحافظ حدثنا أحمد ابن إسحـاق الفقيه حدثنـا محمد بن ربح حدثنا يزيد بن هارون حدثنا الحجاج بن أرطأة عن يحيى بن أبي كثير قال: خرج رسول الله ﷺ ذات ليلة وخرجت عائشة رضـي الله عنها تطلبه في البقيع فرأته رافعاً رأسه إلى السماء فقـال: «أكنت تخافين أن يحيف الله عليك ورسوله؟ . .» فذكر الحديث الآتي إن شاء الله عن قريب بعد هذا.

قال البيهقي: ولهذا الحديث شواهد من حديث عائشة وأبي بكر وأبي

موسى الأشعري واستثني في بعضها المشرك والمشاحن، وفي بعضها المشرك وقاطع الطريق والعاق والمشاحن، وقد رواه محمد بن مسلمة الواسطي عن يزيد بن هارون موصولاً.

كما أخبرنا أبو زكريا بن أبي إسحاق أخبرنا أحمد بن سليمان الفقيه حدثنا محمد بن مسلمة حدثنا يزيد بن هارون أخبرنا الحجاج عن يحيى بن أبي كثير عن عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت: فقدت النبي ﷺ ذات ليلةٍ فخرجت أطلبه. فإذا هو بالبقيع رافعاً رأسه إلى السماء فقال: «ياعائشة، أكنت تخافين أن يحيف الله عليك ورسوله؟» قالت: قلت وما بي من ذلك. . . الحديث.

أخبرنا أبو نصر بن قتادة حدثنا أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري الهروي حدثنا الحسين بن إدريس حدثنا أبو عبيدالله بن اخي ابن وهب حدثنا عمي حدثنا معاوية بن صالح عن العلاء بن الحارث أن عائشة قالت: قام رسول الله ﷺ من الليل يصلي فأطال السجود حتى ظننت أنه قد قُبض، فلما رأيت ذلك قمت حتى حركت إبهامه فتحرك فرجعتُ فلما رفع رأسه من السجود وفرغ من صلاته قال: «ياعائشة ـ أو يا حميراء ـ ظننت أن النبي ﷺ قد خاس بك؟» قلت: لا والله يارسول الله، ولكني ظننت أنك قُبضت لطول سجودك، فقال: «أتدري أي ليلة هذه؟» قال: الله ورسوله أعلم، قال: «هذه ليلة النصف من شعبان، إن الله عز وجل يطلع على عباده في ليلة النصف من شعبان فيغفر للمستغفرين ويرحم المسترحمين ويؤخر أهل الحق كما هم» قال الأزهرى قوله: (قد خاس بك) يقال للرجل إذا غدر بصاحبه فلم يؤته حقه: قد خاس به.

قال البيهقي: هذا مرسل جيد، ويحتمل أن يكون العلاء بن الحارث أخذه من مكحول، والله أعلم.

قلت: وفي سنده أبو عبيدالله أحمد بن عبدالرحمن بن وهب المعروف بـ «بحشل» قال الحافظ في التقريب: صدوق تغير بآخره.

وأخرج ابن ماجه والبيهقي واللفظ لابن ماجه قال ابن ماجه: حدثنا الحسن بن علي الخلال حدثنا عبدالرزاق أنبأنا ابن أبي سبرة عن إبراهيم بن محمد عن معاوية بن عبدالله بن جعفر عن أبيه عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا كانت ليلة النصف من شعبان فقوموا ليلها وصوموا نهارها، فإن الله ينزل فيها لغروب الشمس إلى سماء الدنيا فيقول: ألا من مستغفر فأغفر له؟ ألا مسترزق فأرزقه؟ ألا مبتلىً فأعافيه؟ ألا كذا ألا كذا... حتى يطلع الفجر.» قال صاحب الزوائد: إسناده ضعيف لضعف إبن أبي سبرة واسمه أبو بكر بن عبدالله ابن محمد قال فيه أحمد بن حنبل وابن معين: يضع الحديث، انتهى (١: ٢١٧).

وقال الذهبي في الميزان: هو أبو بكر بن عبدالله بن محمد بن أحد البدريين أبي سبرة بن أبي رهم العامري ضَعَّفهُ البخاري. قال أبو داود: متروك، وقال أحمد: كان يضع الحديث، وقال ابن معين: ليس حديثه بشيء. وذكر الذهبي هذا الحديث من منكراته.

وقال الحافظ في التقريب: قيل إسمه عبدالله وقيل محمد وقد يُنسب إلى جده رموه بالوضع. قلت: ذكره ابن عرَّاق في الكذابين (١: ١٣١) منه. وذكره الفتني في قانون الموضوعات والضعفاء وقال: هو متروك (ص ٣٠٨) وذكره قبلهما برهان الدين الحلبي في «الكشف الحثيث عمن رمي بوضع الحديث» وقال: كان يضع الحديث، كما تقدم.

وقال البيهقي بعد إخراج هذا الحديث بسند ابن ماجه ومتنه الآتي بعض الألفاظ قال ما نصه: أخبرنا أبو عبدالله الحافظ حدثنا علي بن حمشاذ حدثنا إبراهيم بن أبي طالب حدثنا الحسن بن علي الحلواني.. فذكره باسناده وذكر فيه لفظ النزول وقال بدل السائل ألا مبتلىً فأعافيه ألا كذا، غير أنه قال: عن محمد بن عبدالله بن جعفر عن أبيه ولم يذكر علياً. قال: إبراهيم بن أبي طالب بن محمد مولى زينب بنت حجش.

وقد رواه ابن ماجه والبيهقي أيضاً من حديث أبي موسى الأشعري والسياق لابن ماجه قال في سننه: حدثنا راشد بن سعيد بن راشد الرملي حدثنا الوليد بن مسلم عن الضحاك بن أيمن عن الضحاك بن عبدالرحمن ابن عرزب عن أبي موسى الأشعري عن رسول الله ﷺ قال: «إن الله ليطلع في ليلة النصف من شعبان فيغفر لجميع خلقه إلا لمشرك أو مشاحنٍ».

وقال ابن ماجه أيضا: حدثنا محمد بن إسحاق حدثنا أبو الأسود النضر بن عبدالجبار حدثنا ابن لهيعة عن الزبير بن سليم عن الضحاك بن عبدالرحمن عن أبيه قال: سمعت أبا موسى الأشعري نحوه.

قال السندي: قال صاحب الزوائد: هذا الحديث ضعيف لضعف عبدالله بن لهيعة وتدليس الوليد بن مسلم، وابن عرزب لم يلق أبا موسى. وفيه أيضاً الضحاك بن أيمن. قال الحافظ في التقريب: مجهول. وفي الثاني أيضا ابن لهيعة وقد اختلط في آخر عمره لما احترقت كتبه. وفيه الزبير بن سليم مجهول.

وأخرجه الامام أحمد من حديث عبدالله بن عمرو قال حدثنا حسن حدثنا ابن لهيعة حدثنا حيي بن عبدالله عن أبي عبدالرحمن الحبلي عن عبدالله بن عمرو أن رسول الله ﷺ قال: «يطلع الله عز وجل إلى خلقه ليلة النصف من شعبان، فيغفر لعباده إلا لإثنين: مشاحن وقاتل نفس». هكذا في المسند (٢ : ١٧٦) منه.

قال المنذري في الترغيب (٣ : ٤٦٠): «رواه أحمد بإسنادٍ لين.» وقال الهيثمي في مجمعه (٨: ٦٥): «وفيه ابن لهيعة وهو لين الحديث وبقية رجاله وثقوا.»

قلت: قال الحافظ في التقريب: ابن لهيعة صدوق خلط بعد احتراق كتبه وله في مسلم بعض شيء مقرون. وقال الذهبي في الميزان: وكان صالحاً لكنه يدلس عن الضعفاء ثم احترقت كتبه وكان أصحابنا يقولون: سماعُ من سَمِعَ منه قبل احتراق كتبه صحيح وهم العبادلة الأربعة عبدالله

ابن وهب وابن المبـارك وابن يزيد وابن مسلمـة القعنبي . وزاد الحافظ : ورواية ابن المبـارك و ابن وهب عنه أعدل من غيرهما . وذكره الحافظ في طبقات المدلسين والبرهان في التبيين في أسماء المدلسين، وكذلك السيوطي ذكره في رسالته في المدلسين كما أن البرهان الحلبي ذكره في «الاغتباط بمعرفة من رُمِي بالاختـلاط» وأخـرجـه ابن خزيمة والبيهقي، الأول في كتاب التوحيد، والثاني في الشعب. والسياق لابن خزيمة، قال ابن خزيمة في توحيده (ص ٩٠): حدثنـا أحمـد بن عبدالرحمن بن وهب حدثني عمى حدثناه عمرو بن الحارث: أن عبدالملك حدثه عن المصعب بن أبي ذئب عن القاسم بن محمد عن أبيه أو عمه عن جده أبي بكر الصديق رضـي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ينزل الله عز وجل ليلة النصف من شعبـان إلى سماء الدنيا فيغفر لكل شيء إلا لإنسان في قلبه شحناء، أو مشرك بالله».

وقال البيهقي : أخبرنا أبو عبدالله الحافظ ومحمد بن موسى قالا حدثنا أبـو العباس هو الأصم حدثنا محمد بن إسحاق أخبرنا خالد بن خداش وأصبغ بن الفرج قالا حدثنا ابن وهب عن عمرو بن الحارث عن عبدالملك ابن عبدالملك أن مصعب بن أبي ذئب حدثه عن القاسم بن محمد بن أبي بكر عن أبيه أو عمه عن جده عن النبي ﷺ قال: «ينزل الله إلى السماء الدنيا ليلة النصف من شعبان، فيغفر لكل شيءٍ إلا رجل مشرك أو في قلبه شحناء.»

أخبرنا أبو عبدالله الحافظ أخبرنا أبو بكر محمد بن يحيى الوراق حدثنا جعفر بن أحمد الحافظ حدثنا يعقوب بن حميد بن كاسب حدثنا عبدالله بن وهب عن عمرو بن الحارث عن عبدالملك بن عبدالملك وهو من ولد حميد عن مصعب بن أبي ذئب عن القاسم بن محمد بن أبي بكر عن عمه عن جده أبي بكر الصديق رضـي الله عنه عن النبي ﷺ. . . فذكره غير أنه قال: «لكل نفسٍ إلا إنسانٍ في قلبه شحناء أو مشرك بالله».

وأخبرنا علي بن أحمد بن عبدان أخبرنا أحمد بن عبيد أخبرناسعيد بن عثمان الأهوازي حدثنا أحمد بن عيسى المصري حدثنا عبدالله بن وهب بإسناده غير أنه قال: عن أبيه وعمه عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه. وقال: «فيغفر لكل مؤمن إلا العاق أو المشاحن».

وفي الترغيب للمنذري (٣: ٤٥٩) في باب التهاجر قال: «رواه البزار والبيهقي من حديث أبي بكر الصديق رضي الله عنه بنحوه بإسنادٍ لا بأس به.»

ورواه البزار في مسنده بسند البيهقي عن أبي بكر الصديق قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا كانت ليلة النصف من شعبان ينزل الله تبارك وتعالى إلى سماء الدنيا، فيغفر لعباده إلا ما كان من مشركٍ أو مشاحنٍ لأخيه.» قال الهيثمي في مجمعه: «وفيه عبدالملك بن عبدالملك ذكره ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل ولم يضعفه وبقية رجاله ثقات».

قلت: قال ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل: «وقصدنا بحكاية الجرح والتعديل في كتابنا هذا إلى العارفين به العالمين له متأخراً بعد متقدم إلى أن انتهت بنا الحكاية إلى أبي وأبي زرعة، ولم نحك عن قومٍ قد تكلموا في ذلك لقلة معرفتهم به، ونَسَبْنا كل حكاية إلى حاكيها، والجواب إلى صاحبه، ونظرنا في اختلاف أقوال الأئمة في المسئولين عنهم فحذفنا تناقض قول كل واحد منهم وألحقنا بكل مسئول عنه ما لاقَ به وأشبهه من جوابهم، على أنا قد ذكرنا أسامي كثيرة مهملة من الجرح والتعديل كتبناها ليشتمل الكتاب على كل من روى عنه العلم رجاء وجود الجرح والتعديل فيهم، فنحن ملحقوها بهم بعد إن شاء الله تعالى». هذا كلام ابن أبي حاتم في الجزء الأول من الجرح والتعديل (ص ٣٨) يدل على أن كل مَنْ سكت عنه فهو مجهولٌ لديه، فعبدالملك بن عبدالملك مجهول عند ابن أبي حاتم إذ لم يجد فيه كلاماً للأئمة مع أن الذهبي قال في ميزانه: «عبدالملك بن عبدالملك عن مصعب بن أبي ذئب عن القاسم، قال البخاري: في حديثه

نظر.» يريد حديث عمرو بن الحارث عن عبدالملك أنه حدثه عن مصعب ابن أبي ذئب عن القاسم بن محمد عن أبيه أو عمه عن جده عن رسول الله ﷺ: «ينزل الله ليلة النصف من شعبان إلى السماء الدنيا فيغفر لكل نفس إلا إنساناً في قلبه شحناء أو مشرك». وقيل: إن مصعباً جده. وقال ابنُ حبان وغيره: «ولا يتابع على حديثه» قال الحافظ في اللسان: «وقال البخاري: فيه نظر» وقد قال الذهبي وغيره: «ولا يقول البخاري هذه الكلمة في الرجل إلا من يتهمه.» وقد بيَّنَ العقيلي أن البخاري أراد حديثه المذكور، ثم قال الحافظ: وفي الباب أحاديث فيها لين. ونقله ابن عدي أيضاً وساق هذا الحديث. وقال: معروفٌ بهذا الحديث ولا يرويه عنه غير عمرو بن الحارث، وهو حديث منكر بهذا الاسناد. وقال البزار: لانعلمه سمع من القاسم وليس بالمعروف ونسبه في روايته فهرياً يعني مصعب ابن أبي ذئب.

قال البيهقي في الشعب: ورُوِيَ عن مكحول عمن فوقه مرسلاً وموصولاً عن النبي ﷺ. وأخبرنا أبو الحسين بن فضل القطان ببغداد أخبرنا أبو سهل بن زياد القطان حدثنا إسحاق بن الحسن الحربي حدثنا عفان حدثنا عبدالواحد بن زياد عن الحجاج عن مكحول عن كثير بن مرة الحضرمي عن النبي ﷺ قال: «في ليلة النصف من شعبان يغفر الله عزوجل لأهل الأرض إلا المشرك والمشاحن».

وقال البيهقي: هذا مرسل جيد. ورُوِيَ من وجهٍ آخر عن مكحول عن أبي ثعلبة الخشني عن النبي ﷺ، وهو أيضا بين مكحول وأبي ثعلبة مرسل جيد.

كما أخبرنا أبو طاهر الفقيه أخبرنا أبو حامد بن بلال حدثنا محمد بن إسماعيل الأحمسي حدثنا المحاربي عن الأحوص بن حكيم عن المهاصر بن حبيب عن مكحول عن أبي ثعلبة الخشني عن النبي ﷺ قال: «إذا كان ليلة النصف من شعبان اطلع الله إلى خلقه فيغفر للمؤمنين ويُملي للكافرين ويدع أهل الحقد بحقدهم حتى يدعوه».

أخبرنا أبو عبدالله الحافظ حدثنا أبو أحمد الحافظ حدثنا أبو جعفر محمد بن عمران النسوي النيسابوري حدثنا أبو الوليد محمد بن أحمد بن يزيد الانطاكي حدثنا محمد بن كثير المصيصي حدثنا الأوزاعي عن مكحول «ح» وأخبرنا أبو عبدالله الحافظ وإسحاق بن محمد بن يوسف السوسي وأبو بكر القاضي قالوا: حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب حدثنا يزيد بن محمد ابن عبدالصمد الدمشقي حدثنا هشام بن خالد حدثنا أبو خليد يعني عتبة ابن حماد الحكمي عن الأوزاعي عن مكحول وابن ثابت - يعني عبدالرحمن ابن ثابت بن ثوبـان -عن أبيه عن مكحول عن مالك بن يخامر عن معاذ بن جبل عن النبي ﷺ قال: «يطلع الله على خلقه في ليلة النصف من شعبان، فيغفر لجميع خلقه إلا لمشرك أو مشاحن». وفي رواية المصيصي قال: قال رسول الله ﷺ: . . . والباقي سواء.

قلت: محمد بن كثير المصيصي صدوق كثير الغلط، قاله في التقريب.

قال البيهقي: «وقد روينا هذا من أوجه» وفي ذلك دلالة على أن للحديث أصلاً من حديث مكحول. وقال الهيثمي في المجمع (٨: ٦٥) بعد عزوه حديث أبي ثعلبة هذا إلى الطبراني في الأوسط: «فيه الأحوص بن حكيم وهـو ضعيف». ولفظ الحافظ في التقريب: «الأحوص بن حكيم ضعيف الحفظ». وقال المنذري في الترغيب (٣: ٤٦١) «قال البيهقي وهو بين مكحول و أبي ثعلبة مرسل جيد».

وأخرجه ابن حبان في صحيحه قال: أخبرنا محمد بن المعافى العابد بصيداء وابن قتيبة وغيره قالوا حدثنا هشام بن خالد الأزرق حدثنا أبو خليد عتبة بن حماد عن الأوزاعي وابن ثوبان عن أبيه عن مكحول عن مالك بن يخامر عن معاذ بن جبل عن النبي ﷺ قال: «يطلع الله إلى خلقه في ليلة النصف من شعبان فيغفر لجميع خلقه إلا لمشركٍ أو مشاحن». هكذا في موارد الظمآن في زوائد ابن حبان للهيثمي (ص ٤٨٦).

قال الهيثمي في المجمع (٨: ٦٥): «رواه الطبراني في الكبير والأوسط ورجالهما وثقوا».

قال صالح بن محمد: عبدالرحمن بن ثابت صدوق إلا أن مذهبه القدر، وأنكروا عليه احاديث يرويها عن أبيه عن مكحول. هكذا قال الحافظ في التهذيب. وقال في التقريب: صدوق يخطىء ورُميَ بالقدر وتغير بآخره.

ورواه أبو نعيم في الحلية بسنده عن عتبة بن حماد وهو أبو خليد عن الأوزاعي عن مكحول عن مالك بن يخامر عن معاذ بن جبل قال: قال رسول الله ﷺ: «يطلع الله عز وجل على خلقه ليلة النصف من شعبان، فيغفر لجميع خلقه إلا لمشركٍ أو مشاحنٍ».

قال أبو نعيم في الحلية (٥: ١٩١): «حديث مكحول عن عبدالرحمن بن غنم تفرد به ابن ثوبان، وحديثه عن مالك تفرد به الأوزاعي». انتهى.

وقال البيهقي: أخبرنا أبو عبدالله الحافظ ومحمد بن موسى قالا حدثنا محمد بن يعقوب حدثنا محمد بن إسحاق الصغاني حدثنا شجاع بن الوليد أخبرنا زهير بن معاوية أخبرنا الحسن بن الحر حدثني مكحول أن الله يطلع على أهل الأرض في النصف من شعبان فيغفر لهم إلا الرجلين الكافر والمشاحن. قال البيهقي: لم يجاوز به مكحولاً.

وقال الهيثمي في المجمع: (٨: ٦٥) «رواه البزار عن عوف بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «يطلع الله تبارك وتعالى على خلقه ليلة النصف من شعبان فيغفر لهم كلهم إلا لمشركٍ أو مشاحن» قال: «فيه عبدالرحمن ابن زياد بن أنعم الافريقي وثقه احمد بن صالح وضعفه جمهور الأئمة، وفيه ابن لهيعة أيضاً وهو لين، وبقية رجاله ثقات.» انتهى.

قلت: قال الحافظ في التقريب: عبدالرحمن بن زياد بن أنعم الأفريقي ضعيف في حفظه.

وقال البيهقي في الشعب: وقد رُويَ في هذا الباب أحاديث مناكير، رواتها قوم مجهولون قد ذكرنا في كتاب الدَعوات منها حديثين.

أخبرنا أبو الحسين بن بشران أخبرنا أبو جعفر الرزاز حدثنا محمد بن أحمد الرياحي حدثنا جامع بن صبيح الرملي حدثنا مرحوم بن عبدالعزيز عن داود بن عبدالرحمن عن هشام بن حسان عن الحسن عن عثمان بن أبي العاص عن النبي ﷺ قال: «إذا كان ليلة النصف من شعبان نادى منادٍ: هل من مستغفرٍ فأغفر له؟ هل من سائلٍ فأعطيه؟ فلا يسأل أحد شيئاً إلا أعطاه إلا زانيةً بفرجها أو مشرك».

أخبرنا أبو عبدالله الحافظ ومحمد بن موسى قالا حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب حدثنا محمد بن عيسى بن حبان المدائني حدثنا سلام بن سليمان أخبرنا سلام الطويل عن وهيب المكي عن أبي رهم أن أبا سعيد الخدري دخل على عائشة فقالت له عائشة: يا أبا سعيد حدثني بشيء سمعته من رسول الله ﷺ وأحدثك بما رأيته يصنع. قال أبو سعيد: كان رسول الله ﷺ إذا خرج إلى صلاة الصبح قال: «اللهم إملأ سمعي نوراً، وبصري نوراً، ومن بين يدي نوراً، ومن خلفي نوراً، وعن يميني نوراً، وعن شمالي نوراً، ومن فوقي نوراً، ومن تحتي نوراً، وعظّم لي النور برحمتك» وفي رواية محمد «وأعظم لي نوراً» ثم اتفقا. قالت عائشة: دخل عليَّ رسول الله ﷺ فوضع ثوبيه ثم لم يستقر أن قام فلبسهما، فأخذتني غيرة شديدة ظننت أنه يأتي بعض صويحباتي فخرجت أتبعه، فأدركته بالبقيع بقيع الغرقد يستغفر للمؤمنين والمؤمنات والشهداء. فقلت: بأبي وأمي أنت في حاجةِ ربك وأنا في حاجة الدنيا، فانصرفتُ فدخلتُ حجرتي، ولي نفسٌ عالٍ ولحقني رسول الله ﷺ فقال: «ما هذا النفس يا عائشة؟!!» فقلت: بأبي وأمي أتيتني فوضعت عنك ثوبيك ثم لم تستقر أن قمت فلبستهما، فأخذتني غيرة شديدة ظننت أنك تأتي بعض صويحباتي، حتى رأيتك بالبقيع تصنع ما تصنع. قال: «ياعائشة، أكنت تخافين أن يحيف الله عليك ورسوله؟ بل

أتاني جبريل عليه السلام فقال: هذه الليلة ليلة النصف من شعبان، ولله فيها عتقاء من النار بعدد شعور غنم كلب، لا ينظر الله فيها إلى مشركٍ ولا إلى مشاحنٍ ولا إلى قاطع رحمٍ ولا إلى مسبلٍ ولا إلى عاقٍ لوالديه ولا إلى مدمن خمرٍ». قالت: ثم وضع عنه ثوبيه فقال لي: «ياعائشة، أتأذنين لي في قيام هذه الليلة؟» فقلت: نعم بأبي وأمي. فقام فسجد ليلاً طويلاً حتى ظننتُ أنه قُبض، فقمت ألتمسه ووضعت يدي على باطني قدميه فتحرك ففرحت وسمعته يقول في سجوده: «أعوذ بعفوك من عقابك، وأعوذ برضاك من سخطك، وأعوذ بك منك، جل وجهك لا أحصي ثناءً عليك، أنت كما أثنيت على نفسك» فلما أصبح ذكرتهن له فقال: «ياعائشة، تعلمتهن؟» فقلت: نعم فقال: «تعلميهن وعلميهن، فإن جبريل عليه السلام علمنيهن وأمرني أن أرددهن في السجود».

قال البيهقي: «هذا إسناد ضعيف.» قلت: نعم، رواته مجاهيل وكذلك رواة الحديث الذي قبله أعني حديث عثمان بن أبي العاص.

وقال البيهقي: «ورُوي هذا الحديث من وجه آخر. كما أخبرنا أبونصر بن قتادة حدثنا أبو منصور أحمد بن الأزهري الأديب الهروي بهراة أخبرنا أبو علي الحسن بن إدريس الأنصاري حدثنا أبو عبدالله بن اخي بن وهب حدثنا محمد بن الفرج الصدقي حدثنا عمرو بن هاشم البيروتي عن ابن أبي كريمة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت: كانت ليلة النصف من شعبان ليلتي، وكان رسول الله ﷺ عندي، فلما كان في جوف الليل فقدته، فأخذ بي ما يأخذ النساء من الغيرة، فتلفقت بمرطي، أما والله ما كان من خز ولا قز ولا حرير ولا ديباج ولا قطن ولا كتان. قيل لها: مم كان يا أم المؤمنين؟ قالت: كان سداه شعر ولحمته من أوبار الابل. قالت: فطلبته في حجر نسائه فلم أجده، فانصرفت إلى حجرتي فإذا أنا به كالثوب الساقط وهو يقول في سجوده: «سجد لك خيالي وسوادي، وآمن بك فؤادي، فهذه يدي وما جنيت بها على نفسي، ياعظيم يُرجى لكل

عظيم، يا عظيم اغفر الذنب العظيم، سجد وجهي للذي خَلَقَه وشَقَّ سمعه وبصره.» ثم رفع رأسه ثم عاد ساجداً. فقال: «أعوذ برضاك من سخطك، وأعوذ بعفوك من عقابك، وأعوذ بك منك، أنت كما أثنيت على نفسك، أقول كما قال أخي داود: اعفر وجهي في التراب لسيدي وحق له أن يسجد» ثم رفع رأسه فقال: «اللهم ارزقني قلباً تقياً من الشرنقياً لا جافياً ولا شقياً» ثم انصرف فدخل معي في الخميلة ولي نفسٌ عال فقال: «ما هذا النفس يا حميراء؟!!» فأخبرته فطفق يمسح يديه على ركبتي وهو يقول: «وبين هاتين الركبتين ما لقينا هذه الليلة ليلة النصف من شعبان، ينزل الله فيها إلى السماء الدنيا فيغفر لعباده إلا المشرك والمشاحن».

أخبرنا أبو عبدالله الحافظ ومحمد بن موسى قالا حدثنا أبو العباس الأصم حدثنا محمد بن علي الوراق حدثنا سعيد بن سليمان حدثنا الليث ابن سعد عن عقيل عن الزهري عن عثمان بن محمد بن المغيرة الأحنس قال: تقطع الآجال من شعبان إلى شعبان، قال: إن الرجل لينكح ويولد له وقد خرج إسمه في الموتى.

وعن الزهري حدثني أيضاً عثمان بن محمد بن المغيرة أن رسول الله ﷺ قال: «ما من يوم طلعت شمسه فيه إلا يقول من استطاع أن يعمل فِيَّ خيراً فليعمله، فإني غير مكرر عليكم أبداً، وما من يوم إلا يُنادي مناديان من السماء، يقول أحدهما: يا طالب الخير أبشر، ويقول الآخر: يا طالب الشر أقصر، ويقول أحدهما: اللهم أعط منفقاً مالاً خلفاً، ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكاً مالاً تلفاً». قال البيهقي: هذا منقطعٌ، وروينا بعضه موصولاً.

أخبرنا عبدالخالق بن علي المؤذن أخبرنا أبو جعفر محمد بن بسطام القوسي بقرية وانية حدثنا أبو جعفر أحمد بن محمد بن جابر حدثني أحمد بن عبدالكريم حدثنا خالد الحمصي عن عثمان بن سعيد بن كثير عن محمد بن المهاجر عن الحكم بن عتبة عن إبراهيم قال: قال علي: رأيتُ رسول الله

ﷺ ليلة النصف من شعبان قام فصلى أربع عشرة ركعة، ثم جلس بعد الفراغ فقرأ بأم القرآن أربع عشرة مرة، وقل هو الله أحد أربع عشرة مرة، وقل أعوذ برب الفلق أربع عشرة مرة، وقل أعوذ برب الناس أربع عشرة مرة، وآية الكرسي مرة. ﴿ **لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيزٌ عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم**﴾ الآية. فلما فرغ من صلاته سألته عما رأيت من صنيعه قال: «من صنع مثل الذي رأيتَ كان له كعشرين حجة مبرورة، وصيام عشرين سنة مقبولة، فإن أصبح في ذلك اليوم صائماً كان له كصيام سنتين سنة ماضية وسنة مستقبلة.» قال الامام أحمد: يشبه أن يكون هذا الحديث موضوعاً وهو منكر وفي رواته قَبْل عثمان ابن سعيد مجهولون.

قال البيهقي: أنبأنا القاضى أبو بكر إجازةً أخبرنا محمد بن محمد الهروي أخبرنا إبراهيم بن إسحاق الحربي حدثنا عفان حدثنا قيس حدثنا الأغر عن خليفة بن حصين عن علي رضي الله عنه قال: كان أكثر ما دعا به رسول الله ﷺ عشية عرفة: «اللهم لك الحمد كالذي نقول وخير مما نقول، اللهم لك صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي، اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر ووسوسة الصدر اللهم إني اسألك من خير ما تجيء به الرياح وأعوذ بك من شر ما تجيء به الريح.»

وقال ابن بلبان المقدسي في المقاصد السنية، الحديث الثامن والثلاثون: أخبرنا الشيخ الامام العالم أبو محمد عبدالرحمن بن أبي الفهم الدمشقي قراءةً عليه وأنا أسمع، قال: أخبرنا أبو الفرج عبدالمنعم بن عبدالوهاب قراءةً عليه وأنا أسمعُ، قال: حدثنا أبو عثمان إسماعيل بن محمد ابن أحمد الاصبهاني، حدثنا القاضي الزاهد علي بن الحسين الاستراباذي، حدثنا أبو الحسن عليُّ السَّيقلي، حدثنا أبو بكر محمد الديرعاقولي، قال: حدثنا الحسن بن علويه القطان، حدثنا إسماعيل بن عيسى العطّار، حدثنا إسحاقُ بن بشر، عن جُويبر، عن الضَّحَّاك، عن أبيٍّ بن كعبٍ رضي

الله عنـه قالَ: قال رسـول الله ﷺ: «أتاني جبريل عليه السلام في ليلة النصف من شعبان فقال: يامحمد! قم فصلِ في هذه الليلة وارفع رأسَكَ ويديك إلى السـماء. قالَ: قلت: ياجبريلُ! وما هذه الليلةُ؟ قال: ليلةُ النصف من شعبانَ تُفتح فيها أبواب السماء وأبواب الرحمة وثلاثمائة باب من المغفرة، فَيُغْفَرُ فيها لجميع مَنْ لا يشركُ بالله غيرِ مشاحِنٍ أو كاهنٍ أو ساحرٍ أو مدمن خمرٍ أو مُصرٍّ على الزنى، وهؤلاء لا يُغْفَرُ لهم حتى يتوبوا، يُترك لَهم بابٌ من أبواب الرحمة إلى أن يتوبوا. قال: ياجبريل! فإن لم يتوبوا حتى يمضي عنهم النصف؟ قال: فإن مكثَ إلى أن يُغَرْغِرَ فهو مفتوحٌ تقبل منه. فخرج النبي ﷺ إلى بقيع الغرقد، وجعلِ يسجدُ ويبكي في سجوده ويقولُ: أعوذ بعفوكَ من عقابك، وأعوذُ برضاكَ من سخطِكَ، وأعوذ بك منك لا أبلغ ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك...» الحديث بطوله.

قال ابن بلبان: «هكذا أورده الامام العالم الحافظ أبو عثمان محمد بن أحمد الاصبهاني، وقد انفرد به أبيٌّ بن كعب، عن رسول الله ﷺ، عن جبريل عليه السلام» أ. هـ

قلت: ورواه ابن عساكر أيضاً، وفيه محمد بن خازم مجهول، وفيه أيضاً مجاهيل آخرون. (ص ١٢٦) من تنزيه الشريعة.

* * * *

* * *

* *

تحفة القاري في الرد على الغماري

إنَّ الحمـد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أمـا بعـد، فقـد اطلعت على رسالةٍ صغيرةٍ كتبها شخص باسم عبدالله بن محمد بن الصديق الغماري الحسني وسماها «إتحاف الأذكياء في التوسل بالأنبياء وغيرهم من الصالحين والأولياء.» يدعو فيها إلى التوسل بذوات الصـالحـين مستـدلاً على دعـواه فيهـا بخمسـة أحاديث مرفوعة وبخمسة آثار موقوفة، وعقب على كل واحدٍ منها بأنه صحيح، وأنها دالة كلها على مرامه.

هذا وقـد ألفَتْ رسائل كثيرة في الرد على مثل هذه الرسالة، منها قاعـدة جليلة في التـوسـل والوسيلة لشيخ الاسلام ابن تيمية، وصيانة الانسان عن وسوسة الشيخ زيني دحلان للشيخ السهسواني، وغاية الأماني في الرد على النبهاني للآلوسي، ومنهاج التأسيس في الرد على ابن جرجيس للشيخ عبداللطيف، وتأسيس التقديس في الرد على ابن جرجيس لبابطين النجدي، ومصباح الظلام في الرد على ابن منصور للشيخ عبداللطيف وغير ذلك كثير.

فمشاركةً لهؤلاء الأعلام في الذبِّ عن السنة المطهرة وحفاظاً على العقيدة السلفية مِنْ أنْ يعبث بها كل لاعب رأيتُ من الواجب علـيَّ بيان الحق نحـو الأخبار والآثار التي لبَّس بها الغماري على العامة، فوضعت قلمي على هذه الأوراق مستعيناً بالله وحده، فإذا تلك الأخبار والآثار على

قسمين، قسم دالّ على مرامه ولكنه ضعيفٌ جداً أو موضوع، وقسمٌ خارج عن الموضوع على فرض صحته، وقد قدَّمْتُ الكلام على الأحاديث المرفوعة التي ساقها في رسالته الصغيرة التي تقدمت الاشارة اليها. وكذلك ما ساق في أصل رسالته هذه[1]

ثم قفيته بالكلام على ما أورده من الآثار الموقوفة، وسميت هذه الرسالة بـ «تحفة القاري في الرد على الغماري» فإليك أيها القارىء أدلة الغماري التي لا تنطلي إلا على الأغمار، لأنك إذا نظرت إليها تجد أن أسانيدها كلها لا تخلو من كذاب أو متهم بالكذب متروك الحديث أو مجهوله تنقطع أعناق الابل دون أن يُعرف إضافة إلى أنه أورد فيها حديث عمر في الصحيحين وحديث الأعمى في السنن مع أنهما خارجان عن الموضوع، كما ستقرؤه إن شاء الله في محله.

* * *

١ـ الحديث الأول من أحاديث الغماري قال: أخرج الطبراني في معجمه الكبير والأوسط عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: لما ماتت فاطمة بنت أسد أم علي رضي الله عنهما دخل عليها رسول الله ﷺ فجلس عند رأسها فقال: «رحمك الله يا أمي، كنت أمي بعد أمي، تجوعين وتشبعيني، وتعرين وتكسيني، وتمنعين نفسك طيباً وتطعميني تريدين بذلك وجه الله والدار الآخرة.» ثم أمر أن تُغسل ثلاثاً ثلاثاً فلما بلغ الماء فيه الكافور سكبه رسول الله ﷺ بيده ثم خلع رسول الله ﷺ قميصه فألبسها اياه وكفنها ببرد فوقه ثم دعا رسول الله ﷺ أسامة بن زيد وأبا أيوب الأنصاري وعمر بن الخطاب وغلاماً أسود يحفرون، فحفروا قبرها فلما بلغوا اللحد حفره رسول الله ﷺ بيده وأخرج ترابه بيده، فلما فرغ دخل رسول الله ﷺ فاضطجع فيه وقال: «الله الذي يحيي ويميت وهو حي لا يموت إغفر لأمي فاطمة بنت أسد، ولقنها حجتها، ووسِّع عليها مدخلها بحق نبيك والأنبياء الذين من قبلي فإنك أرحم الراحمين.»

(١) الرد المحكم المتين على كتاب القول المبين.

وكبَّر عليها أربعاً وأدخلها اللحد هو والعباس وأبو بكر رضـي الله عنهما. »
قال: قال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح غير روح بن صلاح وقد وثقه ابن حبان والحاكم وفيه ضعف. قال: فالحديث صحيح وله طرق، منها عن ابن عباس عند أبي نعيم في المعرفة والديلمي في مسند الفردوس بإسناد حسن كما قال الحافظ السيوطي، انتهى كلام الغماري.

قلت: قال الحافظ ابن حجر في اللسان: إن روح بن صلاح ذكره يونس في تاريخ الغرباء وقال: هو من أهل الموصل قدم مصر وحدث بها. رُويت عنـه منـاكـير. قال الـدارقطني: ضعيف في الحديث. وقال ابن ماكولا: ضعفوه، سكن مصر. وقال ابن عدي بعد أن أخرج له حديثين: وله أحاديث كثيرة في بعضها نكرة. وقال الذهبي في الديوان: روح بن صلاح عن ابن لهيعـة قال ابن عدي ضعيف. وقـال السهسـواني في الصيانة: روح ضعيف ضعفه ابن عدي، وهو داخل في القسم المعتدل من أقسام من تكلم في الرجال، كما في فتح المغيث للسخاوي. ولا اعتداد بذكر ابن حبان له في الثقات فإن قاعدته معروفة من الاحتجاج بمن لا يُعـرف كما في الميزان، وكذلك لا اعتداد بتوثيق الحاكم وتصحيحه فإنه داخـل في القسم المتسمـح، قال السخـاوي وقسم متسمـح كالترمذي والحاكم. وقال السيوطي في التدريب: وهو متساهل فما صححه ولم نجد فيه لغيره من المعتمدين تصحيحاً ولا تضعيفاً، حكمنا بأنه حسن الا أن تظهر فيه علة توجب ضعفه.

وقال البدر بن جماعة: والصواب أنه يُتتبع ويُحكم عليه بما يليق بحاله من الحسن أو الضعف أو الصحـة. ووافقه العراقي وقال: إن حكمه عليه بالحسن فقط تحكم. فقول الحاكم وابن حبان عند التعارض لا يقام له وزن حتى ولو كان الجرح مبهمًا لم يذكر له سبب، فكيف مع بيانه، كما هو الحال في ابن صلاح هذا؟ فأنت ترى أئمة الجرح قد اتفقت عباراتهم على تضعيفه، وبينوا أن السبب روايته المناكير، فمثله إذا انفرد بالحديث يكون منكراً لا يحتج به، فلا يَغتر بعد هذا بتوثيق مَنْ سبق ذكره إلا جاهل أو مغرض.

فحديث أنس هذا الذي تبين أنه ضعيف أوهم الغماري أنه صحيح بتمسكه بتوثيق ابن حبان والحاكم لروح بن صلاح، وقد بينا ضعفه وعدم اعتداد العلماء بتوثيق المذكورين فتذكر. ولم يكتف بهذا التلبيس بل قال عقبه:

«ولهذا الحديث طرق منها عن ابن عباس عند أبي نعيم في المعرفة والديلمي في الفردوس بإسناد حسن كما قاله الحافظ السيوطي.»

فهذا كذب منه على ابن عباس رضي الله عنهما وربما على السيوطي أيضا، فليس في حديث ابن عباس موضع الشاهد من حديث أنس وهو قوله «بحق نبيك والأنبياء الذين قبلي فإنك أرحم الراحمين.»

قال ابن الأثير في أسد الغابة ما نصه: أخبرنا أبو الفرج بن أبي الرجاء إجازة بإسناده عن أبي بكر بن أبي عاصم حدثنا عبدالله بن شبيب ابن خالد القيسي حدثنا يحيى بن ابراهيم بن هانى أخبرنا حسين بن زيد ابن علي عن عبدالله بن محمد بن عمر بن علي عن أبيه أن رسول الله ﷺ كفن فاطمة بنت أسد في قميصه واضطجع في قبرها وجزَّاها خيرا.

وروى عن ابن عباس نحو هذا وزاد: فقالوا: ما رأيناك صنعت بأحد ما صنعت بهذه؟!! قال: «إنه لم يكن بعد أبي طالب أَبَّر بي منها، إنما ألبستها قميصي لتكسى من حلل الجنة، واضطجعت في قبرها ليهون عليها عذاب القبر.»[٢]

وقال ابن عبدالبر: روى سعدان بن الوليد السابري عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس قال: لما ماتت فاطمة أم علي بن أبي طالب ألبسها رسول الله ﷺ قميصه واضطجع معها في قبرها. فقالوا: ما رأيناك صنعت ما صنعت بهذه؟! فقال: «إنه لم يكن أحد بعد أبي طالب أبر بي منها، إنما ألبستها قميصي لتكسى من حلل الجنة واضطجعت معها ليهون عليها.»[٣]

---

(٢) أسد الغابة (١ : ٥١٧).

(٣) الاستيعاب (٤ : ٣٧٠).

ورواه الطبراني في الأوسط أيضا بدون هذا الشاهد مثل رواية ابن عبدالبر، وقال الهيثمي: «وفيه سعدان بن الوليد ولم أعرفه، وبقية رجاله ثقات.»[٤] ولفظه في المجمع: عن ابن عباس قال: لما ماتت فاطمة أم علي بن أبي طالب خلع النبي ﷺ قميصه وألبسها إياه واضطجع في قبرها، فلما سوى عليها التراب قالوا: يارسول الله، رأيناك صنعت شيئاً لم تصنعه بأحد!! فقال: «إني ألبستها قميصي لتكسى من ثياب الجنة، واضطجعت معها في قبرها ليخفف عنها من ضغطة القبر، إنها كانت أحسن خلق الله إليَّ صنيعاً بعد أبي طالب.»

وليس في هذه الروايات عن ابن عباس ذكر للشاهد الذي تقدم في حديث أنس رضي الله عنه.

٢ـ وعند الطبراني في الكبير من حديث أبي أمامة: «أسئلك بنور وجهك الذي أشرقت له السماوات والأرض، وبكل حق هو لك وبحق السائلين عليك.»

قلت: قال الهيثمي في المجمع: «وفيه فضالة بن جبير وهو ضعيف مجمع على ضعفه.» وقال الذهبي في الميزان: قال ابن عدي: عامة أحاديثه غير محفوظة.

وقال ابن حبان: لا يحل الاحتجاج به بحال، يروي أحاديث لا أصل لها هكذا في الفوائد المجموعة للشوكاني رحمه الله.

٣ـ وعن ابن عباس قال: سألت النبي ﷺ عن الكلمات التي تلقاها آدم من ربه قال: «سأل بحق محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين إلا تبت عليَّ. فتاب عليه ـ انتهى.»

قلت: قال الدارقطني: تفرد به عمرو بن ثابت أبو المقدام بن هرمز الكوفي يكنى أبا ثابت وقد قال يحيى أنه لا ثقة ولا مأمون. وقال ابن حبان: يروي

---

(٤) مجمع الزوائد (٩: ٢٥٧).

الموضوعات. وقال الذهبي في الميزان: قال النسائي متروك الحديث، وقال أبو داود: رافضي.

وقال عبدالله بن المبارك: لا تحدثوا عن عمرو بن ثابت فإنه كان يسب السلف وفي سؤالات الآجري سأل أبا داود عنه أنه قال: رافضي خبيث وهو الشؤم ليس يشبه حديثه أحاديث الشيعة. ذكره ابن عراق في الوضاعين وقال: عمرو بن ثابت بن أبي المقدام قال ابن حبان: روى الموضوعات عن الثقات وذكره الفتني أيضاً في قانون الضعفاء وقال: متروك. قال يحيى: عمرو بن ثابت لا ثقة ولا ثابت.

ثم إن الله تعالى قد بين الكلمات التي تلقاها آدم من ربه، فدعا بها هو وحواء بقوله تعالى ﴿**قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الخَاسِرِينَ**﴾ وهذا أقوى رد للمتن الذي رواه هذا الوضاع المجوسي الأصل من غلاة الروافض.

٤ـ حديث الأعمى عند الترمذي والنسائي في عمل اليوم والليلة وابن ماجه، وهذا الحديث على القول بصحته فليس فيه متمسك على دعواه لأن الأعمى إنما توسل بدعائه ﷺ كما قال شيخ الاسلام ابن تيمية وغيره في قاعدة التوسل والوسيلة.

وذكر أن العز بن عبدالسلام أوقف القول بجواز التوسل به ﷺ على صحة هذا الحديث، ولكنه لا يدل على التوسل بذاته الشريفة ﷺ بل إنما يدل على التوسل بدعائه ﷺ للأعمى لقوله ﷺ للأعمى: «**إن شئت** دعوت وإن شئت صبرت.» ولقول الأعمى في آخر دعائه «اللهم فشفعه في.»

وسيأتي بسط الكلام على هذا الحديث عن قريب إن شاء الله عند الكلام على حديث الطبراني في توسل عثمان بن حنيف.

٥ـ الحديث الخامس: أخرج الحافظ أبو محمد عبدالله بن محمد بن جعفر بن حيان الأصبهاني المعروف بأبي الشيخ في كتابه «ثواب الأعمال»

من طريق عبدالملك بن هارون بن عنترة عن أبيه أن أبا بكر رضي الله عنه أتى النبي ﷺ فقال: إني أتعلم القرآن ويتفلت مني، فعلمه النبي ﷺ أن يقول: «اللهم إني أسألك بمحمد نبيك، وإبراهيم خليلك، وموسى نجيك وعيسى كلمتك وروحك، وبتوراة موسى، وإنجيل عيسى، وزبور داود، وفرقان محمد ﷺ وعليهم أجمعين... الحديث» لم يزد الغماري على قوله في هذا الحديث: «وهو ضعيف لضعف عبدالملك، ولأن فيه انقطاعاً بين أبيه و أبي بكر كما قال الحافظ العراقي في المغنى.»

قلت: قصر في البحث أو أراد التلبيس كما هو عادته لأن عبدالملك ابن هارون بن عنترة قال السعدي: دجال كذاب، وقال يحيى بن معين أيضا: كذاب. وقال أبو حاتم: متروك ذاهب الحديث. وقال ابن حبان: يضع الحديث وهو الذي يُقال له عبدالملك بن أبي عمرو. وقال الذهبي: واتهم بوضع الحديث، وكذلك ابن عراق ذكر في الكذابين ما قاله السعدي وابن حبان فيه. وقال الفتني في قانون الضعفاء: عبدالملك بن هارون الشيباني كذاب دجال يضع.

وقال الحافظ في اللسان: قال صالح بن محمد: عامة حديثه عن أبيه كذب، وأبوه هارون ثقة. وقال الحاكم في المدخل: روى عن أبيه أحاديث موضوعة. وقال أبو نعيم: يروي عن أبيه مناكير. وأبوه هارون بن عنترة الشيباني الكوفي قال الحافظ في التقريب: لا بأس به. وقال الدارقطني يحتج به وأبوه يعتبر به، وأما ابنه عبدالملك فمتروك يكذب ـ الميزان.

٦ـ قال الطبراني في الصغير: حدثنا محمد بن داود بن أسلم السدفي المصري حدثنا أحمد بن سعيد المدني الفهري حدثنا عبدالله بن إسماعيل المدني عن عبدالرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن جده عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لما أذنب آدم عليه السلام الذنب الذي أذنبه رفع رأسه إلى العرش فقال: أسألك بحق محمد إلا غفرت لي... الحديث» ورواه الحاكم في المستدرك أيضا قال:

حدثنا عمرو بن محمد بن منصور العدل حدثنا أبو الحسن محمد بن إسحاق بن إبراهيم الحنظلي حدثنا أبو الحارث عبدالله بن مسلم الفهري حدثنا إسماعيل بن مسلمة أنبأنا عبدالرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن جده عن عمر به.

ففي هذا الحديث آفاتٌ كثيرة سكت عنها الغماري لأنها لا تتلائم مع غرضه من التلبيس. منها:

١ـ أن الذهبي قال في الميزان: عبدالله بن مسلم، أبو الحارث الفهري روى عن إسماعيل بن مسلمة بن قعنب عن عبدالرحمن بن زيد بن أسلم خبراً باطلاً فيه: يا آدم لولا محمد ما خلقتك. وقال في تلخيص المستدرك: بل هو موضوع وعبدالرحمن واه.

وقال أيضا: رواه عبدالله بن مسلم الفهري، ولا أدري من ذا عن إسماعيل بن مسلمة. قال الحافظ في اللسان: لا أستبعد أن يكون هو عبدالله بن مسلم بن رشيد وقد ذكره ابن حبان من المتهمين بوضع الحديث، لا يحل كتب حديثه، وهو شيخٌ لا يعرفه أصحابنا وإنما ذكرته لئلا يحتج به أحد من أصحاب الرأي لأنهم كتبوا عنه فيتوهم مَنْ لم يتبحر في العلم أنه ثقة، وهو الذي روى عن أبي هدبة نسخة كأنها معمولة، ضبط الخطيب أباه بالتشديد وجده بالتصغير.

قلت: وإسماعيل بن مسلمة هذا صدوق يخطىء، وفيه أيضاً مجاهيل كما قال الهيثمي في المجمع: «رواه الطبراني في الأوسط والصغير وفيه من لم أعرفهم.»(٥)

وقال الطبراني: لا يُروى عن عمر إلا بهذا الاسناد، تفرد به أحمد ابن سعيد المدني الفهري عن عبدالله بن إسماعيل المدني عن عبدالرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن جده.

٢ـ عبدالرحمن بن زيد، قال الربيع بن سليمان: سمعت الشافعي يقول:

---

(٥) المجمع (٢٥٣/٨).

سأل رجلٌ عبدالرحمن بن زيد بن أسلم: حدثك أبوك عن أبيه أن سفينة نوح طافت بالبيت وصلت خلف المقام ركعتين؟ قال: نعم. وقال محمد ابن عبدالله: سمعت الشافعي يقول: ذكر لمالك حديث فقال: من حدثك به؟ فذكر له إسناداً منقطعاً فقال إذهب إلى عبدالرحمن بن زيد بن أسلم يحدثك عن أبيه عن نوح عليه السلام ـ انتهى.(٦)

وقال في الصارم: قال الحاكم أبو عبدالله: روى عبدالرحمن عن أبيه أحاديث موضوعة لا يخفى على من تأملها من أهل الصنعة أن الحمل فيها عليه.

وأما عبدالرحمن بن زيد بن أسلم فضعيف غيُر محتجٍ به عند أهل الحديث. قال الفلاس: لم أسمع عبدالرحمن بن مهدي يحدث عنه. وقال أبو طالب عن أحمد بن حنبل: ضعيف.

وقال عباس الدوري عن يحيى بن معين: ليس حديثه بشيء. وقال البخاري وأبو حاتم الرازي: ضعفه علي بن المديني جداً. وقال أبو داود وأبو زرعة والنسائي والدارقطني: ضعيف. وقال ابن حبان: كان يقلب الأخبار وهو لا يعلم حتى كثر ذلك في روايته مِنْ رفع المراسيل وإسناد الموقوفات فاستحق الترك. وقال الحاكم أبو عبدالله: روىٰ عن أبيه أحاديث موضوعة لا يخفى على من تأملها من أهل الصنعة أن الحمل فيها عليه. وقال ابن خزيمة: عبدالرحمن بن زيد ليس ممن يحتج أهل الحديث بحديثه. وقال الحافظ أبو نعيم الأصبهاني: حدث عن أبيه، لا شيء.

وما ذكرناه في هذا المكان من كلام أئمة هذا الشأن في بيان حال عبدالرحمن وحال الفهري فيه كفاية لمن له أدنى معرفة بهذا الشأن فكيف يسوغُ لأحدٍ الاحتجاج بحديثٍ في إسناده مثل هذين الضعيفين المشهورين بالضعف ومخالفة الثقات اللذين لو كان أحدهما وحده في طريق الحديث

---

(٦) الميزان.

لكان محكوماً عليه بالضعف وعدم الصحة فكيف إذا كانا مجتمعين في الاسناد. ؟!!

وقال ابن عبدالهادي: وإني لأتعجب من السبكي كيف قلد الحاكم فيما صححه من حديث عبدالرحمن بن زيد بن أسلم الذي رواه في التوسل وفيه قول الله لآدم «ولولا محمد ما خلقتك» مع أنه حديثٌ غير صحيح ولا ثابت بل هو حديث ضعيف في الاسناد جداً، وقد حكم عليه بعض الأئمة بالوضع، وليس إسناده من الحاكم إلى عبدالرحمن بن زيد بصحيح بل هو مفتعل على عبدالرحمن، ولو كان صحيحاً إلى عبدالرحمن لكان ضعيفاً غير محتج به، لأن عبدالرحمن لسوء حفظه هو رجلٌ صناعته العبادة والتقشف ليس من أحلاس الحديث. ثم قال: قلت: وكذا جميع مَنْ ضعفه مثل أحمد والنسائي وابن سعد وابن حبان، إنما ضعفوه لسوء حفظه ولغفلته مع وصف بعضهم له بالصلاح والعبادة.

فملخص ما يُقال في حديثه هذا أنه ضعيف فقط ليس بصحيح كما قال الحاكم ولا بموضوع كما قال الذهبي، وكيف يكون موضوعاً وقد أخرجه البيهقي في دلائل النبوة وهو ملتزمٌ أن لا يُخرج في كتبه حديثاً موضوعاً كما ذكره الحافظ السيوطي في اللآلىء رادا به على ابن الجوزي إذ أورد في الموضوعات من طريق ابن شاهين حديثاً هو عند البيهقي في الأسماء والصفات. وبهذا امتازت كتب البيهقي على سائر كتب الحديث ممن لم يلتزم أصحابها الصحة، وقد طعن في الحديث ابن تيمية أيضا كما نقله عنه التقي السبكي في شفاء السقام، ولم نشتغل برد كلامه لكونه في معنى كلام الذهبي. انتهى كلام الغماري الذي إن دل على شيءٍ فإنما يدل على المغالطة إذ تقدم أن عبدالرحمن بن زيد يروي عن أبيه أحاديث موضوعة وهذا الحديثُ من جملتها.

هذه أدلته المرفوعة على جواز التوسل بذوات الصالحين مع بيان عدم صلاحيتها للإستدلال بها على ما يريد.

الآثار التي دلس بها الغماري على مطلوبه

١ـ منها ما رواه الحاكم في المستدرك والبيهقي في الدلائل من طريق عبدالملك بن هارون بن عنترة عن أبيه عن جده عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: كانت يهود خيبر تقاتل غطفان، فلما التقوا هزمت يهود خيبر فعاذت اليهود بهذا الدعاء: اللهم إنا نسألك بحق محمد النبي الأمي الذي وعدتنا أن تخرجه لنا في آخر الزمن إلا نصرتنا عليهم. فكانوا إذا التقوا دعوا بهذا الدعاء، فهزموا غطفان، فلما بُعث النبي ﷺ كفروا به فأنزل الله ﴿وكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الذِينَ كَفَرُوا﴾ يعني وقد كانوا يستفتحون بك يامحمد، إلى قوله ﴿فَلَعْنَةُ الله عَلَى الكَافِرِينَ﴾ ثم قال الغماري تلبيساً كعادته: هذا إسناد ضعيف لضعف عبدالملكَ بن هارون.

قلت: قال الحاكم في المستدرك: أدت الضرورة إلى إخراجه في التفسير وهو غريب من حديثه. وقال الذهبي في التلخيص: قلت: لاضرورة في ذلك فعبدالملك متروك هالك.

لكن للأثر طرق، فأخرج أبو نعيم في الدلائل من طريقي عطاء والضحاك عن ابن عباس قال: كانت يهود بني قريظة والنضير من قبل أن يبعث محمد ﷺ يستفتحون الله، يدعون على الذين كفروا، يقولون: اللهم إنا نستنصرك بحق النبيِ الأمي إلا نصرتنا عليهم، فيُنصرون، فلما جآءهم ما عرفوا ـ يريد محمداً ﷺ ـ ولم يشكوا فيه كفروا به.

وعقب الحافظ ابن حجر على هذا الكلام في كتابه «العجاب في بيان الأسباب» بقوله: «قلت: وأي ضرورة تحوج إلى اخراج حديث مَنْ يقول فيه يحيى بن معين: كذاب، في المستدرك على البخاري ومسلم؟! ما هذا الا اعتذار ساقط» انتهىٰ.العجاب (ل ١٨/ب).

وأخرج الحاكم أيضاً من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن

عباس قال: كان يهود المدينة قبل قدوم النبي ﷺ إذا قاتلوا مَنْ يليهم من مشركي العرب من أسد وغطفان وجهينة وعذرة يستفتحون عليهم ويستنصرون، يدعون عليهم باسم نبي الله فيقولون: ربنا انصرنا عليهم باسم نبيك وبكتابك الذي تُنزل عليه الذي وعدتنا أنك باعثه في آخر الزمان.

قلت: هذا الأثر فيه الكذاب عبدالملك بن هارون بن عنترة وقد تقدم الكلام عليه في الأخبار المرفوعة. قال أبو نعيم في الدلائل: حدثنا حبيب بن الحسن قال حدثنا محمد بن يحيى المروزي قال حدثنا أحمد بن أيوب قال حدثنا إبراهيم بن سعد عن محمد بن إسحاق أنه قال: بلغني عن عكرمة مولى ابن عباس وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس أن اليهود كانوا يستفتحون على الأوس والخزرج برسول الله ﷺ قبل مبعثه، فلما بعثه الله عزوجل من العرب كفروا به وجحدوا ما كانوا يقولون فيه، فقال لهم معاذ بن جبل وبشر بن البراء بن معرور أخو بني سلمة: يا معشر اليهود، اتقوا الله وأسلموا وقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد وإنا أهل الشرك وتخبرونا بأنه مبعوث وتصفونه لنا بصفته!! فقال سلام بن مشكم: ما هو بالذي كنا نذكر لكم، ما جاءنا بشيء نعرفه، فأنزل الله عزوجل في ذلك في قولهم ﴿**فَلَمَّا جاءَهُمْ كتَابٌ مِنْ عِنْدِ الله مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ الله عَلَى الكَافِرِينَ**﴾. (٧)

وقال ابن جرير حدثنا أبو كريب قال حدثنا يونس بن بكير قال حدثنا ابن إسحاق قال حدثني محمد بن أبي محمد مولى آل زيد بن ثابت قال حدثني سعيد بن جبير أو عكرمة عن ابن عباس أن يهود كانوا يستفتحون على الأوس والخزرج برسول الله ﷺ قبل مبعثه، فلما بعثه الله من العرب كفروا به وجحدوا ما كانوا يقولون فيه... الحديث.

(٧) الدلائل

قال: حدثت عن المنجاب قال حدثنا بشر عن أبي روق عن الضحاك عن ابن عباس في قوله تعالى ﴿وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الذِيْنَ كَفَرُوا﴾ قال: كانوا يستظهرون يقولون: نحن نعين محمداً عليهم وليس كذلك يكذبون.

قال العلائي في المراسيل: الضحاك بن مزاحم صاحب التفسير كان شعبة ينكر أن يكون لقي ابن عباس، وروى عن يونس بن عبيد أنه قال: ما رأى ابن عباس قط.وعن عبدالملك بن ميسرة أنه لم يلقه، إنما لقي سعيد بن جبير بالري فأخذ عنه التفسير، وروى شعبة عن مشاش أنه قال: سألتُ الضحاك لقيت ابن عباس؟ قال: لا. وقال الأثرم: سمعت أحمد بن حنبل يسأل الضحاك لقي ابن عباس؟ قال ما علمت. وقيل له: فممن التفسير؟ قال: يقولون سمعه من سعيد بن جبير.

وأما كونُ اليهود كانوا ينتصرون على العرب فهذا لا يُعرف، بل المعروف خلافه، والله تعالى قد أخبرنا بما يدل على ذلك، فقال تعالى ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَةُ أَيْنَمَا ثُقِفُوا إلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاس﴾ لم يكونوا بمجردهم ينتصرون لا على العرب ولا غيرهم. وإنما كانوا يقاتلون مع حلفائهم قبل الاسلام، والذلة ضربت عليهم من حين بعث المسيح عليه السلام فكذبوه، قال تعالى ﴿يَا عيسى إنِي مُتَوَفيك﴾ الآية. وقال ﴿يا أَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللهِ كَمَا قَالَ عِيسى بنُ مَرْيَم للحَوارِيين﴾ إلى آخر السورة. وكانوا قد قتلوا يحيى بن زكريا وغيره من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام. قال تعالى ﴿ضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون﴾ فأنزل الله تعالى هذه الآيات ﴿فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به﴾ الآية. وروى محمد بن إسحاق عن عاصم ابن عمر بن قتادة الأنصاري عن رجالٍ من قومه قالوا: مما دعانا إلى الاسلام مع رحمة الله وهداه ما كنا نسمع من رجال يهود وكنا أهل شرك وأصحاب أوثان وكانوا أهل كتاب عندهم علم ليس عندنا وكانت لا تزال

بيننا وبينهم شرور، فإذا نلنا منهم بعض ما يكرهون قالوا لنا: قد تقارب زمانُ نبي يُبعث الآن فنقتلكم معه قتل عاد وإرم، كثيراً ما كنا نسمع ذلك منهم، فلما بعث الله محمداً رسولاً من عند الله أجبناه حين دعانا إلى الله وعرفنا ما كانوا يتوعدوننا به فبادرناهم إليه فآمنا به وكفروا به، ففينا وفيهم نزلت هؤلاء الآيات في البقرة ﴿**وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ**﴾ الآيات ولم يذكر ابن أبي حاتم وغيره ممن جمع كلام مفسري السلف إلا هذا، وهذا لم يُذكر فيه السؤال به أحدٌ من السلف بل ذكروا الأخبار به أو سؤال الله أن يبعثه، فقد روى ابن أبي حاتم عن أبي رزين عن الضحاك عن ابن عباس في قوله تعالى ﴿**وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا**﴾ قال: يستظهرون يقولون: نحن نعين محمداً عليهم، وليسوا كذلك يكذبون.

وروى معمر عن قتادة في قوله تعالى ﴿**وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا**﴾ قال: كانوا يقولون: إنه سيأتي نبي ﴿**فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ**﴾.

وروى بإسناده عن ابن اسحاق حدثنا محمد بن أبي محمد قال أخبرني عكرمة أو سعيد بن جبير عن ابن عباس أن يهود كانوا يستفتحون على الأوس والخزرج برسول الله ﷺ قبل مبعثه فلما بعثه الله من العرب كفروا به وجحدوا ما كانوا يقولون فيه، فقال لهم معاذ بن جبل وبشر بن البراء بن معرور وداود بن سلمة: يا معشر يهود اتقوا الله وأسلموا، فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد ﷺ ونحن أهل شرك وتخبروننا بأنه مبعوث وتصفونه بصفته. فقال سلام بن مشكم أخو بني النضير: ما جاءنا بشيء نعرفه وما هو بالذي كنا نذكر لكم. فأنزل الله تعالى من قولهم ﴿**ولما جاءهم كتاب من عند الله**﴾ الآيات.

وروى بإسناده عن الربيع بن أنس عن أبي العالية قال: كانت اليهود تستنصر بمحمد ﷺ على مشركي العرب يقولون: اللهم ابعث هذا

النبي الذي نجده مكتوباً عندنا حتى نعذب المشركين ونقتلهم. فلما بعث الله محمداً ورأوا أنه من غيرهم كفروا به، حسداً للعرب وهم يعلمون أنه رسول الله ﷺ، فقال الله تعالى: ﴿**فَلَمَّا جَآءَهُمْ مَا عَرفُوا كَفَرُوا بِهِ**﴾.

وأما الحديث الذي يُروى عن عبدالملك بن هارون بن عنترة عن أبيه عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: كانت يهود خيبر تقاتل غطفان فلما التقوا هزمت اليهود فعاذت بهذا الدعاء «اللهم إنا نسألك بحق محمد النبي ﷺ الأمي الذي وعدتنا أن تُخرجه لنا آخر الزمان إلا نصرتنا عليهم» فكانوا إذا دعوا بهذا الدعاء هزموا غطفان، فلما بُعث النبي ﷺ كفروا به، فأنزل الله تعالى ﴿**وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا**﴾ الآية. وهذا الحديث رواه الحاكم في مستدركه وقال: «أدت الضرورة إلى إخراجه.» وهذا مما أنكره عليه العلماء، فان عبدالملك بن هارون من أضعف الناس وهو عند أهل العلم بالرجال متروك بل كذاب. وقد تقدم ما ذكره يحيى بن معين وغيره من الأئمة في حقه. قلت: وهذا الحديث من جملتها، وكذلك الحديث الآخر الذي يرويه عن أبي بكر كما تقدم في الأحاديث المرفوعة.

ومما يبين ذلك أن قوله تعالى ﴿**وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا**﴾ الآية إنما نزلت باتفاق أهل التفسير والسير في اليهود المجاورين للمدينة أولاً كبني قينقاع وبني قريظة والنضير، وهم الذين كانوا يحالفون الأوس والخزرج وهم الذين عاهدهم النبي ﷺ لما قدم المدينة ثم لما نقضوا العهد حاربهم فحارب أولاً بني قينقاع ثم النضير وفيهم نزلت سورة الحشر. ثم بني قريظة عام الخندق، فكيف يُقال نزلت في يهود خيبر وغطفان فإن هذا من كذب جاهل لم يحسن كيف يكذب. ومما يُبين ذلك أيضاً أنه ذكر فيه انتصار اليهود على غطفان لما دعوا بهذا الدعاء، وهذا مما لم ينقله أحدٌ غير هذا الكذاب، ولو كان هذا مما وقع لكان مما تتوفر دواعي الصادقين على نقله. انتهى (٢١ ص ٨٦).

وأمـا قوله تعالى ﴿**وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا**﴾ الآية، فكانت اليهود تقول للمشركين: سوف يُبعث هذا النبي ونقاتلكم معه فنقتلكم لم يكونوا يقسمون على الله بذاته ولا يسألون به بل يقولون: اللهم ابعث هذا النبي الأمي لنتبعـه ونقتل هؤلاء معه. هذا هو النقل الثـابت عنـد أهـل التفسـير وعليه يدل القرآن الكريم فإنه تعالى قال: ﴿**وكانوا من قبل يستفتحون**﴾ والاستفتاح الاستنصار وهو طلبُ الفتح والنصر، فطلبُ الفتـح والنصر به هو أن يُبعث فيقـاتلون معـه فبهـذا يُنصرون، ليس هو بإقسامهم به وسؤالهم به، إذ لو كان كذلك لكانوا إذا سألوا أو أقسموا به نصروا، ولم يكن الأمر كذلك بل لما بعث الله محمداً ﷺ نصر الله مَنْ آمن به وجـاهد معه على من خالفه. وما ذكره بعضُ المفسرين من أنهم كانوا يُقسمون به أو يسألون به فهو نقلٌ مخالفٌ للنقول الكثيرة المستفيضة المخالفة لهذا النقل، وقد ذكرنا طرفاً من ذلك في دلائل النبوة. وفي كتاب الإستغاثة الكبير. وكتبُ السيرة ودلائل النبوة والتفسير مشحونةٌ بمثل هذه النقول الكاذبة. قال أبو العالية وغيره: كان اليهود إذا استنصروا بمحمـدٍ ﷺ على مشركي العرب يقولون: اللهم ابعث هذا النبي ﷺ الذي نجده مكتوباً عندنا حتى نغلب المشركين ونقتلهم، فلما بعث الله محمـداً ﷺ ورأوا أنه من غيرهم كفروا به حسداً للعرب وهم يعلمون أنه رسول الله ﷺ، ولفظ الآية إنما فيه ﴿**كانوا يستفتحون على الذين كفروا فلما جآءهم ما عرفوا كفروا به**﴾ وهذا كقوله تعالى: ﴿**إن تستفتحوا فقدْ جاءكم الفتح**﴾ والاستفتاح طلب الفتح وهو النصر، ومنه الحـديث المـأثـور أن النبي ﷺ كان يستفتـح بصعـاليك المهاجرين أي يستنصر بهم أي بدعائهم كما قال: «وهل تُرزقون وتُنصرون الا بضعفائكم بصـلاتهم ودعـائهم وإخلاصهم.؟» وهذا قد يكون بأن يطلبوا من الله تعـالى أن ينصرهم بالنبي المبعوث في آخر الزمان بأن يعجل بعث ذلك النبي إليهم لينتصروا به عليهم لا لأنهم أقسموا على الله وسألوه به، ولهذا قال تعالى: ﴿**فلما جآءهم ما عرفوا كفروا به**﴾.

فلو لم ترد الآثار التي تدل على أن هذا معنى الآية لم يجز لأحد أن يحمل الآية على ذلك المتنازع فيه بلا دليل، لأنه لا دلالة فيها عليه فكيف وقد جاءت الآثار بذلك.

وأما ما ذكر عن اليهود من أنهم كانوا يُنصرون لقد بينا أنه شاذ وليس هو من الآثار المعروفة في هذا الباب، فإن اليهود لم يُعرف أنها غلبت العرب بل كانوا مغلوبين معهم، وكانوا يحالفون العرب فيُحالف كل فريق فريقاً كما كانت قريظة حلفاء الأوس وكانت بنو النضير حلفاء الخزرج. ومما ينبغي أن يُعلم أن مثل هذا اللفظ لو كان مما يقتضي السؤال به والإقسام به على الله تعالى لم يكن مثل هذا مما يجوز أن يُعتمد عليه في الأحكام، لأنه أولاً لم يثبت وليس في الآية ما يدل عليه، ولو ثَبُتَ لم يلزم أن يكون هذا شرعاً لنا، فإن الله تعالى قد أخبر عن سجود إخوة يوسف وأبويه له وأخبر عن الذين غلبوا على أهل الكهف أنهم قالوا ﴿**لنتخذن عليهم مسجداً**﴾ ونحن قد نُهينا عن بناء المساجد على القبور. انتهى.

٢ـ وأخرج الدارمي في مسنده في باب ما أكرم الله تعالى به نبيه بعد موته قال: حدثنا أبو النعمان حدثنا سعيد بن زيد حدثنا عمرو بن مالك النكري حدثنا أبو الجوزاء أوس بن عبدالله قال: قحط أهل المدينة قحطاً شديداً، فشكوا إلى عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها فقالت: «انظروا قبر النبي ﷺ فاجعلوا منه كوى إلى السماء حتى لا يكون بينه وبين السماء سقف. قال: ففعلوا فمطرنا مطراً حتى نبت العشب وسمنت الابل حتى تفتقت من الشحم فسُمِيَّ عام الفتق. وقال علي بن محمد القاري في شرح المشكاة: قيل في سبب كشف قبره أنه ﷺ كان يُستشفع به عند الجدب فتمطر السماء، فأمرت عائشة رضي الله عنها بكشف قبره مبالغةً في الاستشفاع به، فلا يبقى بينه وبين السماء حجاب. قال الغماري: وإسناده لا بأس به، أبو النعمان هو محمد بن الفضل السدوسي البصري الملقب بعارم ثقة من رجال الصحيحين، وسعيد بن زيد هو أخو حماد بن زيد، قال ابن معين: ثقة. وعمرو بن مالك النكري ثقة من رجال

الأربعة.
وأبو الجوزاء ثقة من رجال الستة. انتهى كلامه.
قلت: فيه أربع آفات:
أ ـ أبو النعمان عارم قد اختلط في آخر عمره.
ب ـ أبو الجوزاء أوس بن عبدالله، قال البخاري: في إسناده نظر ويختلفون فيه. قال الحافظ في التهذيب: إنما قاله عقب حديثٍ رواه له في التاريخ من رواية عمرو بن مالك النكري، والنكري ضعيف عنده. وقال الحافظ في التهذيب أيضاً: وقول البخاري في إسناده نظر، يريد أن أبا الجوزاء لم يسمع من عائشة وابن مسعود وغيرهما، لا أنه ضعيف عنده. وأحاديثه مستقيمة، وحديثه عند مسلم عن عائشة في الافتتاح بالتكبير. وذكر ابن عبدالبر في التمهيد أيضاً أنه لم يسمع من عائشة. قال الحافظ في التقريب: ثقة يرسل كثيراً.
جـ ـ وعمرو بن مالك النكري صدوقٌ له أوهام قاله في التقريب، قال ابن حبان: يعتبر حديثه من غير رواية ابنه يخطىء ويغرب.
د ـ سعيد بن زيد أخو حماد بن زيد صدوق له أوهام، وقال ابن حبان: كان صدوقاً حافظاً ممن كان يخطىء في الأخبار ويهم حتى لا يُحتج به إذا انفرد، انتهى من التقريب وأصله.
٣ـ ذكر الغماري الحكاية التي ذكرها القاضي عياض في الشفاء فيما جرى بين مالك وأبي جعفر المنصور، وقال بعد ذكرها بسندها ما نصه: وقد زعم ابن تيمية على عادته في التسرع إلى الاطلاقات الكاذبة أن هذا الأثر مكذوبٌ على الإمام مالك، وردَّ عليه جماعةٌ من العلماء مبينين خطأه وجهله، منهم عصريه السبكي في شفاء السقام وكذا محمد بن عبدالباقي الزرقاني قال في شرح المواهب عقب نقل صاحبها عنه ما نقلناه ما لفظه: هذا تهور عجيب، فإنَّ الحكاية رواها أبو الحسن علي بن فهر في كتابه فضائل مالك بإسنادٍ لا بأس به، وأخرجه القاضي عياض في الشفاء من طريقه عن شيوخ عدة من ثقات مشايخه فمن أين أنها كذب، وليس في

إسنادها وضاع ولا كذاب؟!.

وقال الخفاجي في نسيم الرياض بعد تخريج عياض للأثر المذكور: «وفي هذا رد على ماقاله ابن تيمية من أن استقبال القبر الشريف في الدعاء عند الزيارة أمرٌ منكر لم يقل به أحد ولم يرو إلا في حكاية مفتراة على مالك، يعني هذه القصة التي أوردها المصنف، ولله دره حيث أوردها بسند صحيح وذكر أنه تلقاها عن عدةٍ من ثقات مشايخه، فقوله إنها كذب محض مجازفة من ترهاته».

هذا كله كلام الغماري، وهو كلام رجل إمعة كل من يمشي يمشي معه، وإلا فهذه الحكاية مَنْ نظر في سندها جزم بأنها مفتراة وكذب وهي كما يلي:

رواها القاضي عياض في الشفاء عن غير واحدٍ بإسناد غريب منقطع مظلم فإليك سندها: قال القاضي عياض في الشفاء: حدثنا القاضي أبو عبدالله محمد بن عبدالرحمن الأشعري وأبو القاسم أحمد بن بقي الحاكم وغير واحد فيما أجازونيه قالوا حدثنا أبو العباس أحمد بن عمرو بن دلهاث حدثنا أبو الحسن علي بن فهر حدثنا أبو بكر محمد بن أحمد بن الفرج حدثنا أبو الحسن عبدالله بن المنتاب حدثنا يعقوب بن اسحاق بن أبي اسرائيل حدثنا ابن حميد قال: ناظر أبو جعفر ـ أمير المؤمنين ـ مالكاً في مسجد رسول الله ﷺ فقال له مالك: يا أمير المؤمنين، لا ترفع صوتك في هذا المسجد، فإن الله تعالى أدب قوماً فقال: ﴿**لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي**﴾ الآية، ومدح قوماً فقال: ﴿**إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله**﴾ الآية، وذم قوماً فقال: ﴿**إن الذين ينادونك من وراء الحجرات**﴾ الآية. وأن حرمته ميتاً كحرمته حياً.فاستكان لها أبو جعفر، وقال: يا أبا عبدالله أستقبل القبلة وأدعو أم أستقبل رسول الله ﷺ؟ فقال: ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم عليه السلام؟!! بل استقبله واستشفع فيه فيشفعه الله فيك.

هذه هي الحكاية المكذوبة مع سندها المظلم.

قال شيخ الاسلام ابن تيمية: وهذه الحكاية منقطعة فإن محمد بن حميد الرازي لم يدرك مالكاً ولا سيما في زمن أبي جعفر المنصور، فإن أبا جعفر توفي سنة ١٥٨ هـ وتوفي مالك سنة ١٧٩ هـ وتوفي ابن حميد سنة ٢٤٨ هـ ولم يخرج من بلده في طلب العلم إلا وهو كبير مع أبيه، وهو مع هذا ضعيف عند أكثر أهل الحديث، كذبه ابو زرعة وابن وارة، واخر من روى الموطأ عن مالك هو أبو مصعب الزبيري وتوفي سنة ٢٤٢ هـ، وآخر من روى عن مالك على الاطلاق هو أبو حذيفة أحمد بن إسماعيل السهمي توفي سنة ٢٥٩ هـ وفي الاسناد المذكور أيضا من لا تُعرف حاله.

قال ابن عبدالهادي في الصارم المنكى في الرد على السبكي: والمعروف عن مالك أنه لا يستقبل القبر عند الدعاء، وهذه الحكاية التي ذكرها القاضي عياض ورواها بإسناده عن مالك ليست بصحيحة عنه وإسنادها مظلم منقطع مشتمل على من يُتهم بالكذب، وعلى من يُجهل حالُه، وابن حميد ضعيف كثير المناكير غير محتج بروايته ولم يسمع من مالك شيئاً ولم يلقه، بل روايته عنه منقطعة غير متصلة.

قال إسحاق بن منصور: أشهد على محمد بن حميد وعبيد بن إسحاق العطار بين يدي الله أنهما كذابان. وقال أبو زرعة: كان يكذب. وقال ابن حبان: ينفرد عن الثقات بالأشياء المقلوبة ولا سيما إذا حدث عن شيوخ بلده. فإذا كانت هذه حال ابن حميد عند أئمة هذا الشأن فكيف يقول السبكي في حكايةٍ روايتها منقطعة «إسنادها جيد،» مع أن في طريقها إليه مَنْ ليس بمعروف وقد قال السبكي بعد ان ذكرها وتكلم على روايتها: فانظر هذه الحكاية وثقة رواتها وموافقتها لما رواه ابن وهب عن مالك، هكذا قال السبكي. والذي حمله هو ومقلدوه على ارتكاب هذه السقطة قلة علمه بهذا الشأن وارتكاب هواه. والذي ينبغي أن يُقال: فانظر إلى هذه الحكاية وضعفها وانقطاعها ونكارتها وجهالة بعض رواتها ونسبة بعضهم إلى الكذب ومخالفتها لما ثبت عن مالك وغيره من العلماء.

هذا كلام الحافظين الناقدين في هذه الحكاية المفتراة التي تدور بين

متهم بالكذب وبين مجاهيل لا يمكن للغماري وغيره أن يعرفهم.

وأذكر هنا كلام الحفاظ الآخرين الذي يؤيد كلام الحافظين شيخ الاسلام ابن تيمية وتلميذه ابن عبدالهادي حول ابن حميد الرازي فأقول: إن ابن حميد الرازي ذكره برهان الدين الحلبي في الكشف الحثيث عمن رُمي بوضع الحديث وقال: قال صالح جزرة؛ كنا نتهم ابن حميد في كل شيء يحدثنا به، ما رأيت أجرأ على الله منه، كان يأخذ أحاديث الناس فيقلب بعضه على بعض. وقال أبو أحمد العسال: سمعت فضلك الرازي يقول: دخلت على محمد بن حميد، وهو يركب الأسانيد على المتون. وقال الذهبي في الميزان: قال أبو علي النيسابوري: قلت لابن خزيمة: لو أخذت الاسناد عن ابن حميد فإن أحمد بن حنبل أحسن الثناء عليه، فقال: إنه لم يعرفه ولو عرفه كما عرفناه لما أثنى عليه أصلاً. وقال صالح جزرة: ما رأيتُ أحذق بالكذب من ابن حميد ومن ابن الشاذكوني. وقد حدث عنه أحمد ابن حنبل وابن معين وآخر أصحابه البغوي وابن جرير، مات سنة **٢٤٨** هـ.

وذكره ابن عرَّاقٍ أيضاً في الكذابين وقال فيه كما قال البرهان وغيره. وقال البخاري في الجزء الأول من تاريخه الكبير: محمد بن حميد أبو عبدالله الرازي، سمع يعقوب القمي وجريراً، فيه نظر، مات سنة **٢٤٨** هـ. وسُئل أبو عبدالله عن محمد بن حميد الرازي لماذا تكلم فيه؟ فقال: لأنه أكثر على نفسه.

وقال أبو حاتم الرازي في الجرح: قال ابن معين: ابن حميد ثقة ليس به بأس رازي كيس، وهذه الأحاديث التي يحدث بها ليست هي من قبله، إنما هي من قبل الشيوخ الذين يحدث بها عنهم. وقال أبو حاتم: سألني ابن معين عن ابن حميد مِنْ قَبْل أن يظهر منه ما ظهر فقال: أي شيء تنقمون عليه؟ فقلت: يكون في كتابه الشيء فنقول ليس هذا هكذا إنما هو كذا وكذا، فيأخذ القلم فيغيره على مانقول. قال ابن معين: لبئس هذه الخصلة، قدم علينا بغداد فأخذنا منه كتاب يعقوب القمي ففرقنا الأوراق

بيننا ومعنا أحمد بن حنبل فسمعناه ولم نر إلا خيرا. هذا قبل أن يعرفه أحمد وابن معين كما يدل عليه كلام ابن خزيمة الذي تقدم آنفا.

٤ـ قال ابن ماجه: حدثنا محمد بن سعيد بن يزيد بن إبراهيم التستري حدثنا المفضل بن الموفق أبو الجهم حدثنا فضيل بن مرزوق عن عطية العوفي عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «من خرج من بيته إلى الصلاة فقال: اللهم إني أسألك بحق السائلين عليك...» الحديث.

ثم قال الغماري: ورواه أحمد عن يزيد بن هارون والطبراني في الدعاء عن بشر بن موسى عن عبدالله بن صالح العجلي وابن خزيمة في كتاب التوحيد من طريق محمد بن فضيل بن غزوان ومن طريق أبي خالد الأحمر وأبو نعيم الأصبهاني من رواية أبي نعيم الكوفي خمستهم عن فضيل ابن مرزوق به، فزال ما يُخشى من ضعف الفضيل بن الموفق بمتابعة هؤلاء له، ولم يبق إلا النظر في حال فضيل وشيخه، فأما فضيل فثقة كما قال ابن عيينة وابن معين وغيرهما، وروى له مسلم والأربعة، وأكبر ما عيب به تشيعه، وليس ذلك بعائبه على ما تقرر في هذا الشأن.

وأما عطية فقال ابن سعد: كان ثقة إن شاء الله، وقال الحافظ السيد محمد مرتضى الحسيني: هو صدوق في نفسه، حسن له الترمذي عدة أحاديث انفرد بها.

وقال الغماري: فهذا الحديث حسن كما قال الحافظ العراقي في المغني. هذا، وللحديث طريق آخر عن بلال رضي الله عنه، قال ابن السني في عمل اليوم والليلة: حدثنا ابن منيع حدثنا الحسن بن عرفة حدثنا علي بن ثابت الجزري عن الوازع بن نافع عن أبي سلمة بن عبدالرحمن عن جابر بن عبدالله عن بلال مؤذن النبي ﷺ قال: كان النبي ﷺ إذا خرج إلى الصلاة قال: «بسم الله، آمنت بالله، توكلت على الله، لا حول ولا قوة إلا بالله، اللهم إني أسألك بحق السائلين عليك...» الحديث.

ثم قال الغماري: ولم أجد في التوسل بهم ـ يعني الصالحين ـ حديثاً

أصرح من هذا الحديث، وغيره من الأحاديث ليس صريحاً مثله. ثم ذكر حديث الابدال. انتهى كلام الغماري.

قلت: هذا كله كلام الغماري حول هذا الخبر الذي حاول أن يلبس به على العامة موهماً أنه وجد ضالته، وإلا ففي هذا الخبر أمران لم يتناولهما الغماري لأن تناوله لهما ينقض عليه ما يريد من التلبيس:

أ ـ في سنده ضعيف وهو فضيل بن مرزوق، قال الحافظ: صدوق يهم ورُمي بالتشيع. وقال ابن حبان: منكر الحديث جداً، كان ممن يخطىء على الثقات ويروي عن عطية الموضوعات. وقال الذهبي في الميزان: عطية أضعف من فضيل بن مرزوق. وقال أبو عبدالله الحاكم: فضيل بن مرزوق ليس من شرط الصحيح، عيب على مسلم إخراجه في الصحيح. وروى أحمد بن أبي خيثمة عن ابن معين: ضعيف. واختلف فيه قول ابن معين كما قال ابن شاهين في ثقاته. وقال ابو حاتم: صالح الحديث صدوق يهم كثيراً يُكتب حديثه ولا يُحتج به، كذا في التهذيب. وقال ابن عدي: إذا وافقه الثقات يحتج به. وفي روايته هذا الحديث لا يُعلم احدٌ تابعه إلا مَنْ لا يعتد بمتابعته.

ب ـ الفضل بن الموفق بن أبي المتئد الكوفي فيه ضعف. قاله في التقريب وقال الذهبي في الميزان: ضعفه أبو حاتم وكذا في الترغيب والترهيب للمنذري والكاشف للذهبي والتلخيص للحافظ. فان قلت: قد وثقه ابن حبان كما ذكره المنذري في الترغيب والترهيب، قلت: لا اعتداد بتوثيق ابن حبان إذا تفرد به. قال الذهبي في الميزان في ترجمة عمارة ابن حديد: ولا تفرح بذكر ابن حبان له في الثقات فإن قاعدته معروفة من الاحتجاج بمن لا يعرفه، ونص الحافظ في التهذيب: قال أبو حاتم: كان شيخاً صالحاً ضعيف الحديث وكان قرابة لابن عيينة، له عند ابن ماجه حديث أبي سعيد في القول إذا خرج إلى الصلاة.

جـ ـ عطية بن سعد العوفي صدوق يخطىء كثيرا كان شيعياً مدلساً قاله في التقريب. وقال الامام أحمد: بلغني ان عطية كان يأتي الكلبي

فيأخذ عنه التفسير، كان يُكنيه بأبي سعيد فيقول: قال أبو سعيد، يعني يوهم أنه الخدري فهذا تدليس أي تدليس.

قال في توضيح الأفكار فإن: صادف شهرة راوٍ ثقة يمكن أخذ ذلك الراوي عنه فمفسدته أشد كما وقع لعطية العوفي في تكْنية محمد بن السائب الكلبي أبا سعيد فكان إذا حدث عنه يقول: حدثني أبو سعيد، فيوهم أنه أبو سعيد الخدري لأن عطية كان قد لقيه وروى عنه، وهذا أشد ما بلغنا من مفسدة تدليس الشيوخ.

وقد اجتمع في عطية من وجوه الضعف ثلاثة: تدليس، وعدم الضبط، وكثرة الخطأ، كما صرح بذلك الحافظان ابن القيم في الهدي والحافظ ابن حجر في التقريب وطبقات المدلسين. فعلى كل حال فالذين جَرَّحُوا عطية أكثر ممن وثقه، ومن المعلوم أن الجرح المبين مقدم على التعديل، فالذين جرحوه خمسة عشر من النقاد (١) أبو حاتم (٢) وسالم المرادي (٣) وأحمد (٤) وهشيم (٥) ويحيى (٦) والنسائي (٧) والبيهقي (٨) والثوري (٩) وابن عدي (١٠) وعبدالحق الأشبيلي (١١) والذهبي (١٢) والمنذري (١٣) والحافظ ابن القيم (١٤) والحافظ ابن حجر (١٥) والدارقطني.

وأما الموثقون فمنهم ابن معين على قولٍ والترمذي، فابن معين قال فيه: صالح كما في الميزان. وهذه اللفظة في المرتبة السادسة من مراتب التوثيق، فهي توثيق لين وحكمه أنه يكتب حديثه للاعتبار، فهذا التوثيق لا يُنافي القول بالضعف.

وأما الترمذي فلم يصرح بتوثيقه، نَعم حسَّن له غير حديث، وتحسينه لا يدل على أن عطية ممن يُحتج بحديثه في كل موضع فإنه ربما يحسن الحديث لمجيئه من طريق أخرى ولاحتمال ان يكون التحسين في موضعٍ قد ثبت عند الترمذي تصريح عطية بالتحديث فيه فان عطية مدلس كما تقدم، وحديث المدلس إنما يُقبل إذا صرح بالتحديث على أن الترمذي متساهل في التصحيح والتحسين، ولذا لم يعتمد العلماء عليه في هذا الباب وردوا على تصحيحه وتحسينه في غير موضع.

فإن قلت: إن الحافظ ابن حجر قال في تخريج الأذكار للنووي وفي كتاب الصلاة لأبي نعيم عن فضيل عن عطية قال: حدثني أبو سعيد فذكره، لكن لم يرفعه، فقد أمن من ذلك تدليس عطية العوفي.

فالجواب أنه لايحصل الأمن من تدليس عطية بهذا فإن عطية تقدم أنه يُكني محمد بن السائب الكلبي أبا سعيد فكان إذا حدث عنه يقول حدثني أبو سعيد فيوهم أنه أبو سعيد الخدري، والأشبه أن هذا الحديث موقوف. قال الذهبي في الميزان في ترجمة عبدالله بن صالح العجلي الكوفي: وله عن فضيل بن مرزوق عن عطية عن أبي سعيد عن النبي ﷺ قال: «إذا خرج الرجل من بيته قال: اللهم بحق السائلين عليك...» الحديث. قال: خالفه أبو نعيم ورواه عن فضيل فما رفعه، قال أبو حاتم: وقفه أشبه. والموقوف ليس بحجة عند المحققين. وقد صدَّر المنذري هذا الحديث في باب الترغيب في المشي إلى المساجد بلفظ «رُويَ» وأهمل الكلام عليه في آخره، وهذا عنده دلالة للإسناد الضعيف كما قال في ديباجة الكتاب، وصرح النووي في الأذكار بضعفه، فبطل قول الغماري أنه بسند صحيح، وهذا كله مع أن الحديث خارج عن الموضوع، لأن الغماري ساقه مستدلاً به على التوسل بالذوات فليس في هذا الحديث توسل بالذوات بل هو توسل بحقٍ تفضل الله به على من سأله ودعاه وحده وهو الاجابة في قوله تعالى ﴿ادعوني استجب لكم﴾.

وأما الشاهد الذي فرح به الغماري فهو من رواية الوازع بن نافع العقيلي، قال فيه ابن معين: ليس بثقة، وقال البخاري: منكر الحديث، وقال النسائي: متروك وقال أيضا: ليس بثقة، قاله في الميزان.

٥- حدثنا إبراهيم بن علي الباهلي حدثنا يحيى بن يحيى حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن أبي صالح السمان عن مالك قال: أصاب الناس قحطٌ في زمن عمر بن الخطاب، فجاء رجل إلى قبر النبى ﷺ فقال: يا

رسول الله استسق الله لأمتك، فإنهم قد هلكوا. فأتاه رسولُ الله ﷺ في المنام فقال: ائت عمر فاقرئه مني السلام وأخبرهم أنهم يُسقون، وقل له عليك بالكيس الكيس. فأتى الرجل فأخبر عمر، فقال: يا رب ما آلو إلا ما عجزت عنه. قال الحافظ: إسناده صحيح، وأخرجه البيهقي في الدلائل بإسناد صحيح. وقال الحافظ في الفتح: وقد روى سيف في الفتوح أن الذي رأى المنام المذكور هو بلال بن الحارث المزني أحد الصحابة. انتهى كلام الغماري.

قلت: في هذا الأثر مالك بن عياض الداري، ذكره البخاري في التأريخ الكبير وسكت عنه (٤ : ٣٠٤) وكذلك ابن أبي حاتم ذكره في الجرح والتعديل بما نصه:

مالك بن عياض مولى عمر بن الخطاب روى عن أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما وروى عنه أبو صالح السمان سمعت أبي يقول ذلك وسكت عنه أيضاً انتهى منه (٤/١ :٢١٣).

وكل من سكت عنه ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل فهو مجهول. فإنه قال في الجزء الأول من الجرح والتعديل ما نصه: «وقصدنا بحكاياتنا الجرح والتعديل في كتابنا هنا إلى العارفين به العالمين له متأخراً بعد متقدم إلى أن انتهت بنا الحكاية الى أبي وأبي زرعة رحمهم الله، ولم نحك عن قومٍ قد تكلموا في ذلك لقلة معرفتهم به ونسبنا كل حكاية إلى حاكيها والجواب إلى صاحبه، ونظرنا في اختلاف أقوال الأئمة في المسئولين عنهم فحذفنا تناقض قول كلِ واحدٍ منهم، وألحقنا بكل مسؤولٍ عنه ما لاق به وأشبهه من جوابهم، على أننا قد ذكرنا أسامي كثيرة مهملة من الجرح والتعديل كتبناها ليشتمل الكتاب على كل من روى عنه العلم رجاء وجود الجرح والتعديل فيهم، فنحن ملحقوها بهم من بعد إن شاء الله تعالى.» انتهى (١ :٣٨ من الجرح والتعديل) وقد قال الأخ الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة: «فهذه القصة غير ثابتة وقد أوهم المؤلفُ صحتها محرفاً لكلام

بعض الأئمة مقلداً في ذلك بعض ذوي الأهواء قبله، وقد وعد بتفصيل ذلك في رسالة أفردها في هذا الموضوع. » انتهى من السلسلة (١ : ٤٧) وفي هذه القصة أيضا أن سيف بن عمر الضبي الأسدي المعروف هو الذي روى في فتوحه أن الذي رأى المنام المذكور هو بلال بن الحارث، فعُلم بهذا أن الأثر المذكور ليس فيه أن الجائي أحد الصحابة بلٍ الذي روى أن الجائي أحد الصحابة ضعيف غاية الضعف فان سيفاً صاحب الفتوح الذي روى هذا الكلام الأخير، قال فيه يحيى: فُلَيْس خير منه. وقال أبو داود: ليس بشيء. وقال أبو حاتم: متروك. وقال ابن حبان: أتهم بزندقة. وقال ابن عدي: عامة حديثه منكر. هكذا في الميزان للذهبي. وقال الحافظ في التقريب: ضعيف في الحديث عمدة في التاريخ، أفحش ابنُ حبان في القول فيه. وقال الخزرجي في الخلاصة: ضعفوه. وقال البرهان في الكشف الحثيث فيمن رُمي بوضع الحديث: سيف كالواقدي. وقال مكحول البيروتي: سمعت جعفر بن أبان قال: سمعت ابن نمير يقول: سيف الضبى تميمي كان يقول: حدثني رجل من بني تميم، وكان سيف يضع الحديث وقد اتهم بالزندقة: وقال ابن عراق في الكذابين: سيف بن عمر متهم بالزندقة ووضع الحديث. وقال الفتني في قانون الضعفاء: متروك اتهم بالوضع والزندقة. فعلى هذا فهذا الأثر كما قال الأخ الألباني غير ثابت لا سيما وهو منام، والمنام لا تثبت به الأحكام الشرعية إلا إذا كان من نبي.

وأما ما قاله ابن سعد في الطبقات من أن مالك الدار مولى عمر بن الخطاب معروف فهذه الكلمة لا تُفيد شيئاً لأنه ـ أعني ابن سعد ـ لم يذكر في ترجمته من روى عنه إلا أبا صالح السمان حيث قال (٥ : ١٢) ما نصه: مالك الدار مولى عمر بن الخطاب وقد انتموا إلى جبلان من حمير، وروى مالك الدار عن أبي بكر الصديق وعمر رحمهما الله، روى عنه أبو صالح السمان وكان معروفاً، فمن المعلوم أن المعروف هو الذي روى عنه إثنان

فأكثر، وإلا فهو مجهول العين والحال معاً إذا لم يوثق فحديثه في قسم الضعيف إلا إذا وثقه غير من روى عنه، وكذلك إذا وثقه من روى عنه إذا كان أهلا لذلك على القول الأصح.

٦ـ ومنها ما رواه الطبراني في الكبير قال: حدثنا طاهر بن عيسى بن قريش (وفي نسخة قيرس) المصري المقري حدثنا أصبغ بن الفرج حدثنا ابن وهب ـ يعني عبدالله ـ عن أبي سعيد المكي ـ يعني شبيب بن سعيد ـ عن روح بن القاسم عن أبي جعفر الخطمي المدني عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف عن عمه عثمان بن حنيف أن رجلاً كان يختلف إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه في حاجةٍ له، فكان عثمان لا يلتفت إليه ولا ينظر في حاجته، فلقي ابن حنيف فشكا إليه ذلك، فقال له عثمان بن حنيف: ائت الميضأة فتوضأ ثم ائت المسجد فصل فيه ركعتين ثم قل: اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبينا محمد نبي الرحمة، يا محمد إني أتوجه بك إلى ربك فيقضي حاجتي، وتذكر حاجتك ورح إليَّ حتى أروح معك، فانطلق الرجل فصنع ما قال له ثم أتى باب عثمان بن عفان رضي الله عنه فجاء البواب حتى أخذ بيده فأدخله على عثمان بن عفان فأجلسه معه على الطنفسة فقال: ما حاجتك؟ فذكر حاجته وقضاها له ثم قال: ما ذكرت حاجتك حتى كان الساعة. وقال: ما كانت لك من حاجةٍ فاذكرها. ثم إنء الرجل خرج من عنده فلقي عثمان بن حنيف فقال له: جزاك الله خيراً ما كان ينظر في حاجتي ولا يلتفت إليَّ حتى كلمته فيَّ. فقال عثمان بن حنيف: والله ما كلمته ولكن شهدت رسول الله ﷺ وأتاه ضريرٌ فشكا إليه ذهاب بصره فقال له النبي ﷺ: «أو تصبر؟» فقال: يا رسول الله، إنه ليس لي قائد وقد شق عليَّ. فقال له النبي ﷺ: «ائت الميضأة فتوضأ ثم صل ركعتين، ثم ادع بهذه الدعوات.» قال ابن حنيف: فوالله ما تفرقنا وطال بنا الحديث حتى دخل علينا الرجل كأنه لم يكن به ضرر قط.

ورواه في المعجم الصغير من هذا الطريق بهذا اللفظ ثم قال: «لم يروه عن روح بن القاسم إلا شبيب بن سعيد أبو سعيد المكي، وهو ثقة وهو الذي يروي عنه أحمد بن شبيب عن أبيه عن يونس بن يزيد الأيلي، وقد روى هذا الحديث شعبة عن أبي جعفر الخطمي واسمه عمير بن يزيد وهو ثقة، تفرد به عثمان بن عمر بن فارس عن شعبة» والحديث صحيح.

وأقره على هذا التصحيح الحافظان زكي الدين المنذري ونور الدين الهيثمي. انتهى كلام الغماري.

قلت: في هذا الحديث آفتان: إحداهما شبيب بن سعيد التميمي الحبطي أبو سعيد البصري، قال الذهبي في الميزان والحافظ في التهذيب: قال ابن عدي: حدث عنه ابن وهب بأحاديث مناكير وقال: ولعل شبيباً لما قدم مصر في تجارته كتب عنه ابن وهب من حفظه فغلط ووهم وأرجو أن لا يتعمد الكذب. وقال ابن المديني: ثقة وكتابه كتاب صحيح. وقال الحافظ في التقريب: شبيب بن سعيد التميمي الحبطي أبو سعيد لا بأس بحديثه من رواية ابنه أحمد عنه، لا من رواية ابن وهب. وفيه أيضاً طاهر بن عيسى بن قريش أو ابن قيرس، استاذ الطبراني مجهول لا يُعرف بالعدالة. قال الشيخ سليمان صاحب كتاب تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد: قال الذهبي: طاهر بن عيسى بن قيرس أبو الحسين المصري المؤدب عن سعيد بن أبي مريم ويحيى بن بكير وأصبغ بن الفرج وعنه الطبراني توفي سنة ٢٩٢ هـ ولم يذكر فيه الذهبي جرحاً ولا تعديلاً، فهو إذا مجهول الحال لا يجوز الاحتجاج بخبره لاسيما فيما يخالف نصوص الكتاب والسنة. انتهى من التيسير (ص ٢١١-٢١٢ منه).

قال الطبراني: «تفرد به عثمان بن عمر عن شعبة» وهذا من الطبراني إخبار منه بمبلغ علمه ولم تبلغه رواية روح بن عبادة عن شعبة، وذلك إسنادٌ صحيح يبين أن عثمان لم ينفرد به، وطريق ابن وهب هذه تؤيد ما ذكره ابن عدي فإنه لم يحرر لفظ الرواية كما حررها ابن شبيب بل ذكر فيها

أن الأعمى دعى بمثـل ما ذكـره عثمان بن حنيف في هذا الأثر، وليس كذلك بل في حديث الأعمى أنه قال: «اللهم فشفعه في وشفعني فيه، أو قال في نفسي» وهذه لم يذكرها ابن وهب في روايته هذه، فيشبه أنه أن يكون حدث ابن وهب به من نفسه كما قال ابن عدي فلم يتقن الرواية.

قال ابن أبي خيثمة: وأبو جعفر الذي حدث عنه حماد بن سلمة في حديث الأعمى إسمـه عمير بن يزيد، وهو أبو جعفر الذي يروي عنه شعبة. ثم ذكر الحديث من طريق عثمان بن عمر عن شعبة، وهذه الطريق فيها «فشفعني في نفسي» مثل طريق روح بن القاسم وفيها زيادة أخرى وهي قوله «وإن كانت لك حاجة فافعل مثل ذلك» «أو قال فعل مثل ذلك» وهـذه قد يقال أنها توافق قول عثمان بن حنيف، لكن شعبة وروح بن القاسم أحفظ من حماد بن سلمة، واختلاف الألفاظ يدل على أن مثل هذه الرواية قد تكون بالمعنى، وقوله «وإن كانت حاجة فعل مثل ذلك» قد يكون مدرجاً من كلام عثمان لا من كلام النبي ﷺ، فإنه لم يقل «وإن كانت لك حاجة فعلت مثل ذلك» بل قال «وإن كانت حاجة فعل مثل ذلـك». وبالجملة، فهذه الزيادة لو كانت ثابتة لم تكن فيها حجة وإنما غايتها أن يكون عثمان بن حنيف ظن أن الدعاء يُدعى ببعضه دون بعض فإنه لم يأمره بالدعاء المشروع بل ببعضه وظن ان هذا مشروع بعد موته ﷺ على فرض صحة هذا الأثر. ولفظ الحديث المعروف يناقض ذلك، فإن في الحديث أن الأعمى سأل النبي ﷺ أن يدعو له وأنه علم الأعمى أن يدعو وأمره في الدعاء أن يقول: «اللهم فشفعه في» وإنما يُدعى بهذا الدعاء إذا كان النبي ﷺ داعياً شافعاً له بخلاف مَنْ لم يكن كذلك فهذا يناسب شفاعته ودعاء الناس في محياه في الدنيا ويوم القيامة إذا شفع لهم. وفيه أيضاً أنه قال «وشفعني فيه» وليس المراد أن يشفع للنبي ﷺ في حاجة للنبي ﷺ وإن كنا مأمورين بالصلاة والسلام عليه وأمرنا أن نسأل الله له الوسيلة فسؤال الأمة له الوسيلة هو دعاءٌ له ﷺ وهو معنى الشفاعة، ولهذا كان

الجزاء من جنس العمل، فمن صلى عليه صلى الله عليه، كذلك الأعمى سأل منه الشفاعة فأمره أن يدعو الله بقبول هذه الشفاعة، وهو كالشفاعة في الشفاعة فلهذا قال: «اللهم فشفعه في وشفعني فيه» وذلك أن قبول دعاء النبي ﷺ في مثل هذا من كرامة الرسول ﷺ على ربه، ولهذا عُدَّ هذا من آياته ودلائل نبوته، فهو كشفاعته يوم القيامة في الخلق، ولهذا أمر الأعمى ان يقول: «فشفعه في وشفعني فيه» بخلاف قوله «وشفعني في نفسي»، فإن هذا اللفظ لم يروه احد إلا من طريق غريب.

وأما قوله «وشفعني فيه» فإنه رواه عن شعبة رجلان جليلان عثمان ابن عمرو وروح بن عبادة، وشعبة أجل من روى حديث الأعمى. ومن طريق عثمان بن عمرو عن شعبة رواه الترمذي والنسائي وابن ماجه، ورواه الامام أحمد في المسند عن روح بن عبادة عن شعبة، فكان هؤلاء أحفظ للفظ الحديث مع أن قوله «وشفعني فيه» إن كان محفوظاً مثل ما ذكرنا وهو أنه طلب أن يكون شفيعاً لنفسه مع دعاء النبي ﷺ، ولو لم يدعُ له النبي ﷺ كان سائلاً مجرداً كسائر السائلين، ولا يُسمي مثل هذا شفاعة وإنما تكون الشفاعة إذا كان هناك اثنان يطلبان أمراً فيكون أحدهما شفيعاً للآخر بخلاف الطالب الواحد الذي لم يشفع غيره. فهذه الزيادة فيها عدة علل:

أولا: إنفراد راويها بها عمن هو أكبر وأحفظ منه.

ثانيا: إعراض أهل السنن عنها.

ثالثا: اضطراب لفظها.

رابعا: أن راويها عرف له عن روح أحاديث منكرة، ومثل هذا يقتضي حصول الريب والشك في كونها ثابتة، فلا حجة فيها إذ الاعتبار بما رواه الصحابي لا بما فهمه إذا كان اللفظ الذي رواه لا يدل على ما فهمه بل على خلافه. ومن المعلوم أن الواحد بعد موته ﷺ إذا قال: «اللهم فشفعه فيَّ وشفعني فيه» مع أن النبي ﷺ لم يدْعُ له كان هذا كلاماً باطلاً

مع ان عثمان بن حنيف لم يأمر صاحب الحاجة أن يسأل النبي ﷺ شيئاً ولا أن يقـول «فشفعه في» ولم يأمر بالدعاء المأثور على وجهه، وإنما أمره ببعضه وليس هناك من النبي ﷺ شفاعة ولا ما يُظن أنه شفاعة، فلو قال بعـد موته «فشفعه في» لكان كلاماً لا معنى له، ولهذا لم يأمره به عثمان صاحب الحاجة كما أنه لم يأمره بالدعاء المأثور عن النبي ﷺ، بل الذي أمره به ليس مأثوراً عن النبي ﷺ، ومثل هذا لا تثبت به شريعة كسائر ما يُنقل عن آحاد الصحابة في جنس العبادات أو الإباحات أو الايجابات أو التحريمات إذا لم يوافقه غيره من الصحابة عليه، وكان ما يثبت عن النبي ﷺ يخالفه لم يكن فعل ذلك الصحابي سنة يجب على المسلمين اتباعها، بل غايته أن يكون مما يسوغ فيه الاجتهاد ومما تنازعت فيه الأمة فيجب رده إلى الله والرسول، ولهذا نظائر كثيرة مثل ما كان ابن عمر يدخل الماء في عينيه في الوضوء ويأخذ لأذنيه ماءً جديداً، وكان أبو هريرة يغسل يديه إلى العضدين في الوضوء ويقول: من استطاع أن يطيل غرته فليفعل. وروي عنه أنه كان يمسح عنقه ويقول: هو موضع الغل، فإن هذا وان استحبه طائفـةٌ من العلماء اتباعاً لهما فقد خالفهما في ذلك آخرون وقالوا: سائر الصحابة لم يكونوا يتوضؤون هكذا، والوضوء الثابت عنه ﷺ الذي في الصحيحين وغيرهما من غير وجه ليس فيه أخذ ماءٍ جديدٍ للأذنين، ولا غسل ما زاد على المرفقين والكعبين، ولا مسح العنق، ولا قال النبي ﷺ من استـطاع أن يطيل غرتـه فليفعل، بل هذا من كلام أبي هريرة جاء مدرجاً في بعض الأحاديث، وإنما قال النبي ﷺ: «وإنكم تأتون يوم القيامة غراً محجلين من آثـار الـوضوء» وكان ﷺ يتوضأ حتى يشرع في العضد والساق، قال أبو هريرة: من استطاع أن يطيل غرته فليفعل، وظن مَنْ ظن أن غسل العضد من إطالة الغرة، وهذا لا معنى له، فان الغرة في الوجه لا في اليد والرجل، وإنما في اليد والرجل الحجلة والغرة لا يمكن إطالتها، فإن الوجه يُغسل كله لا يغسل الرأس ولا غرة في الرأس والحجلة

لا يستحب إطالتها وإطالتها مثلة. وكذلك ابن عمر كان يتحرى أن يسير مواضع سير النبي ﷺ وينزل مواضع منزله ويتوضأ في السفر حيث رآه يتوضأ ويصب فضل مائه على شجرةٍ صب عليها، ونحو ذلك مما استحبه طائفةٌ من العلماء ورأوه مستحباً ولم يستحب ذلك جمهور العلماء كما لم يستحبه ولم يفعله أكابر الصحابة كأبي بكر وعمر وعثمان وعلي وابن مسعود ومعاذ بن جبل وغيرهم، ولم يفعلوا مثل ما فعل ابن عمر ولو رأوه مستحباً لفعلوه كما كانوا يتحرون متابعته والاقتداء به، وذلك لأن المتابعة أن يُفعل مثل ما فعل النبي ﷺ على الوجه الذي فعل، فإذا فعل فعلاً على وجه العبادة شرع لنا أن نفعله على وجه العبادة، وإذا قصد تخصيص مكانٍ أو زمانٍ بالعبادة خصصناه بذلك كما كان يقصد أن يطوف حول الكعبة وأن يلتمس الحجر الأسود وأن يصلي خلف المقام، وكان يتحرى الصلاة خلف اسطوانة مسجد المدينة، وقصد الصعود على الصفا والمروة والدعاء والذكر هناك، وكذلك عرفة ومزدلفة وغيرهما. وأما ما فعله بحكم الاتفاق ولم يقصده مثل أن ينزل بمكانٍ ويصلي فيه لكونه نزله لا قصداً لتخصيصه بالصلاة والنزول فيه، فإذا قصدنا تخصيص ذلك المكان بالصلاة فيه أو النزول لم نكن متبعين بل هذا من البدع التي كان ينهى عنها عمر بن الخطاب كما ثبت بالإسناد الصحيح من حديث شعبة عن سليمان التيمي عن المعرور بن سويد قال: كان عمر بن الخطاب في سفر فصلى الغداة ثم أتى على مكان فجعل الناس يأتونه فيقولون: صلى فيه النبي ﷺ، فقال عمر: إنما هلك أهل الكتاب أنهم اتبعوا آثار أنبيائهم فاتخذوها كنائس وبيعا، فمن عرضت له الصلاة فليصل وإلا فليمض.

فلما كان النبي ﷺ لم يقصد تخصيصه بالصلاة فيه بل صلى فيه لأنه موضع نزوله رأى عمر أن مشاركته في صورة الفعل من غير موافقةٍ له في قصده ليس متابعة بل تخصيص ذلك المكان بالصلاة من بدع أهل الكتاب التي هلكوا بها، ونهى المسلمين عن التشبه بهم في ذلك، ففاعلُ ذلك

متشبه بالنبي ﷺ في الصورة ومتشبه باليهود والنصارى بالقصد الذي هو عمل القلب، وهذا هو الأصل فإن المتابعة في السنة أبلغ من المتابعة في صورة العمل، ولهذا لما اشتبهت على كثير من العلماء جلسة الاستراحة هل فعلها استحباباً أو لحاجةٍ عارضةٍ تنازعوا فيها، وكذلك نزوله بالمحصب عند الخروج من منى لما اشتبه عليهم هل فعله لأنه كان أسمح بخروجه أو لكونه سنة تنازعوا في ذلك، ومن هذا وضع ابن عمر يده على مقعد النبي ﷺ وتعريفُ ابن عباس بالبصرة وعمرو بن حريث بالكوفة فإن هذا لم يفعله سائر الصحابة، ولم يكن النبي ﷺ شرعه لأمته، ولم يمكن أن يُقال هذا سنة مستحبة بل غاية أن يُقال هذا مما ساغ فيه اجتهاد الصحابة أو مما لا يُنكر على فاعله لأنه مما يسوغ فيه الاجتهاد لا لأنه سنة مستحبة سنَّها النبي ﷺ لأمته، أو يقال في التعريف أنه لا بأس به أحياناً لعارض إذا لم يُجعل سنةً واجبةً، هكذا يقول أئمة العلم في هذا وأمثاله تارةً يكرهونه وتارة يسوغون فيه الاجتهاد وتارة يرخصون فيه إذا لم يتخذ سنة. ولا يقول عالم بالسنة أن هذه سنة مشروعة للمسلمين فإن ذلك إنما يقال فيما شرعه رسول الله ﷺ إذ ليس لغيره أن يسن ولا أن يشرع، وما سنه خلفاؤه الراشدون فإنما سنوه بأمره فهو من سنته، ولا يكون في الدين واجباً إلا ما أوجبه ولا حراماً إلا ما حرَّمه ولا مستحباً إلا ما استحبه ولا مكروها إلا ما كرهه ولا مباحاً إلا ما أباحه.

وهكذا في الإباحات كما استباح أبو طلحة أكل البرد وهو صائم، واستباحة حذيفة السحور بعد ظهور الضوء المنتشر إلا أن الشمس لم تطلع وغيرهما من الصحابة لم يقل بذلك، فوجب الرد إلى الكتاب والسنة.

وهكذا الكراهة والتحريم مثل كراهة عمر وابنه للطيب قبل الطواف بالبيت، وكراهة مَنْ كره من الصحابة فسخ الحج إلى التمتع أو التمتع مطلقاً، أو رأى تقدير مسافة القصر بحدٍ حدَّه وأنه لا يقصر بدون ذلك، أو رأى أنه ليس للمسافر أن يصوم في السفر، ومن ذلك قول سلمان أن

الريق نجس، وقول ابن عمر أن الكتابية لا يجوز نكاحها، وتوريث معاذ ومعاوية للمسلم من الكافر، ومنع عمر وابن مسعود للجنب أن يتيمم، وقول علي وزيد وابن عمر في المفوضة أنه لا مهر لها إذا مات الزوج، وقول علي وابن عباس في المتوفى عنها الحامل أنها تعتد إلى أبعد الأجلين، وقول عمر لا يجوز الاشتراط في الحج، وقول ابن عباس وغيره في المتوفى عنها ليس عليها لزوم المنزل، وقول عمر وابن مسعود أن المبتوتة لها السكنى والنفقة، وأمثال ذلك مما تنازع فيه الصحابة، فإنه يجب الرد إلى الله والرسول، ونظائرها كثيرة فلا يكون شريعة للأمة إلا ما شرعه رسول الله ﷺ، ومن قال من العلماء إن قول الصحابي حجة؛ فإنما قاله إذا لم يخالفه غيره من الصحابة ولا عرف نصٌ يخالفه، ثم إذا اشتهر ولم ينكروه كان إقراراً على قول، فقد يقال «هذا إجماع إقراري» إذا عرف أنهم أقروه ولم ينكره أحد منهم وهم لا يقرون على باطل. وأما إذا لم يشتهر فهذا إن عرف أن غيره لم يخالفه فقد يقال «حجة».

وأما إذا عرف أن غيره خالفه فليس بحجة بالاتفاق، وأما إذا لم يعرف هل وافقه غيره أو خالفه لم يجزم بأحدهما، ومتى كانت السنة تدل على خلافه كانت الحجة في سنة رسول الله ﷺ لا فيما يخالفها بلا ريب عند أهل العلم.

إذا كان كذلك فمعلوم أنه إذا ثبت عن عثمان بن حنيف أو غيره أنه جعل من المشروع المستحب أن يُتوسل بالنبي ﷺ بعد موته من غير أن يكون النبي ﷺ داعياً له ولا شافعاً فيه فقد علمنا أن عمر وأكابر الصحابة لم يروا هذا مشروعاً بعد مماته كما كان يُشرع في حياته، بل كانوا في الاستسقاء في حياته يتوسلون به، فلما مات لم يتوسلوا به بل قال عمر في دعائه الصحيح المشهور الثابت باتفاق أهل العلم بمحضر من المهاجرين والأنصار في عام الرمادة المشهور لما اشتد بهم الجدب حتى حلف عمر لا يأكل معهم حتى يخصب الناس لما استسقى بالناس قال: «اللهم إنا كنا

إذا أجدبنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا، فيُسقون. » وهذا دعاء أقره عليه جميع الصحابة ولم ينكره أحد مع شهرته. وهو من أظهر الاجماعات الاقرارية، ودعا بمثله معاوية بن أبي سفيان في خلافتــه لما استسقى بالنـاس، فلو كان توسلهم بالنبي ﷺ بعـد مماتـه كتوسلهم به في حياته لقالوا: كيف نتوسل بمثل العباس ويزيد بن الأسود ونحوهما ونعدل عن التوسل بالنبي ﷺ الذي هو أفضل الخلائق وهو أفضل الوسائل وأعظمها عند الله؟!! فلما لم يقل ذلك أحد منهم وقد عُلم أنهم في حياتـه إنما توسلوا بدعائه وشفاعته وبعد مماته توسلوا بدعاء غيره وشفاعة غيره، علم أن المشروع عندهم التوسل بدعاء المتوسل به لا بذاته.

وحـديث الأعمى حجة لعمر وعامة الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، فإنه إنما أمر الأعمى أن يتوسل إلى الله بشفاعة النبي ﷺ ودعائه لا بذاتـه، وقـال له في الـدعـاء: «اللهم شفعه في» وإذا قدر أن بعض الصحابة أمر غيره أن يتوسل بذاته لا بشفاعته ولم يأمر بالدعاء المشروع بل ببعضـه وتـرك سائـره المتضمن للتـوسل بشفاعته، كان ما فعله عمر بن الخطاب هو الموافق لسنة رسول الله ﷺ وكان المخالف لعمر محجوجاً بسنة رسول الله ﷺ وكان الحديث الذي رواه عن النبي ﷺ حجة عليه لا له. والله أعلم.

وأما القسم الثالث مما يُسمى توسلاً فلا يقدر أحد أن ينقل فيه عن النبي ﷺ شيئاً يحتج به أهل العلم وهو الاقسام على الله عزوجل بالأنبياء والصالحين والسؤال بأنفسهم فانه لا يقدر أحدٌ أن ينقل فيه عن النبي ﷺ شيئاً ثابتاً لا في الاقسام أو السؤال به ولا في الأقسام أو السؤال بغيره من المخلوقين وإن كان في العلماء من سوَّغَهُ فقد ثبت عن غير واحد من العلماء أنه نهى عنه فتكون مسألة نزاع فيرد ما تنازعوا فيه إلى الله ورسوله ﷺ ويُبدي كل واحـد حجتـه كما في سائـر مسـائـل النزاع، وليس هذا من مسائل العقـوبـات باجماع المسلمين بل المعاقب على ذلك معتد جاهل ظالم فإن

القائل بهذا قد قال ما قالت العلماء والمنكر عليه ليس معه نقل يجب اتباعه لا عن النبي ﷺ ولا عن الصحابة.

وإتماماً للفائدة نختم هذه الرسالة بما ذكره ابن كثير في تفسيره وغيرُه عند قوله عزوجل **﴿ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيماً﴾** الآية.

قال ابن كثير ما نصه: ذكر جماعة منهم الشيخ أبو منصور الصباغ في كتابه الشامل الحكاية المشهورة عن العتبي قال: كنت جالساً عند قبر النبي ﷺ فجاء أعرابي فقال: السلام عليك يا رسول الله، سمعتُ الله يقول **﴿ولو أنهم إذ ظلموا﴾** الآية، وقد جئتك مستغفرا لذنبي مستشفعاً بك إلى ربي، ثم أنشد يقول:

يا خير من دفنت بالقاع أعظمه ... فطاب من طيبهن القاع والأكم
نفسي الفداء لقبرٍ أنت ساكنه ... فيه العفاف وفيه الجود والكرم
أنت الرسول الذي تُرجى شفاعته ... عند الصراط إذا ما زلت القدم
لولاك ما خُلقت شمس ولا قمر ... ولا نجوم ولا لوح ولا قلم
صلى عليك إله الدهر أجمعه ... فأنت أكرم مَن دانت له الأمم

ثم انصرف الأعرابي فغلبتني عيني فرأيت النبي ﷺ في النوم فقال: يا عتبي الحق الأعرابي فبشره أن الله قد غفر له.

فهذه القصة الباطلة أخرجها ابن النجار في الدرة الثمينة في تاريخ المدينة بالسند التالي: قال: أخبرنا عبدالرحمن بن أبي الحسن في كتابه أخبرنا أبو الفرج بن أحمد أخبرنا أحمد بن نصير أخبرنا محمد بن القاسم سمعت غالب بن غالب الصوفي يقول: سمعت إبراهيم بن محمد المزكي يقول سمعت أبا الحسن الفقيه يحكي عن الحسن بن محمد عن ابن فضيل النحوي عن محمد بن روح عن محمد بن حرب الهلالي قال: حج أعرابي فلما جاء إلى باب مسجد رسول الله ﷺ أناخ راحلته فعقلها ثم دخل المسجد حتى أتى القبر، وذكر القصة بتمامها.

فهذه الحكاية ذكرها أيضاً بعض الفقهاء والمحدثين، وليست بصحيحة ولا ثابتة إلى العتبي، وقد رُويت عن غيره بإسنادٍ مظلم، وبعض العلماء يرويها عن العتبي بلا إسناد كما في تفسير ابن كثير عند الآية المتقدمة الذكر آنفا، وبعضهم يرويها عن محمد بن حرب الهلالي وبعضهم يرويها عن محمد بن حرب عن أبي الحسن الزعفراني عنِ الأعرابي، وقد ذكرها البيهقي في كتاب شعب الايمان بإسنادٍ مظلم أيضاً عن محمد بن روح بن يزيد البصري حدثني أبو حرب الهلالي. وقد وضع لها بعض الكذابين إسناداً آخر إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه: روى أبو الحسن علي ابن ابراهيم بن عبدالله بن عبدالرحمن الكرخي عن علي بن محمد بن علي حدثنا أحمد بن محمد بن الهيثم الطائي قال حدثني أبي عن سلمة بن كهيل عن أبي صادق عن علي رضي الله عنه فذكر هذه الحكاية، فهذا خبر منكر موضوع وأثر مختلق مصنوع لا يصلح الاعتقاد عليه ولا يحسن المصير إليه، وإسناده ظلمات بعضها فوق بعض. والهيثم جد أحمد بن محمد بن الهيثم إن كان ابن عدي الطائي فهو متروك كذاب وإلا فهو مجهول، وقد ولد الهيثم بن عدي بالكوفة ونشأ بها وأدرك زمان سلمة بن كهيل فيما قيل ثم انتقل إلى بغداد فسكنها، قال عباس الدوري: سمعت يحيى بن معين يقول: الهيثم بن عدي كوفي ليس بثقة، كان يكذب. وقال العجلي وأبو داود: كذاب. وقال أبو حاتم الرازي والنسائي والدولابي والأزدي: متروك الحديث. وقال السعدي: ساقط قد كشف قناعه. وقال أبو زرعة: ليس بشيء. وقال البخاري: سكتوا عنه أي تركوه. وقال ابن عدي: ما أقل ما له من المسند وإنما هو صاحب أخبار وأسمار ونسب وأشعار. وقال ابن حبان: كان من علماء الناس بالسير وأيام الناس وأخبار العرب إلا أنه روى عن الثقات أشياء كأنها موضوعة يسبق إلى القلب أنه كان يدلسها. وقال الحاكم أبو أحمد الكبير: هو ذاهب الحديث. وقال الحاكم أبو عبدالله صاحب المستدرك: الهيثم بن عدي الطائي في علمه ومحله حدث عن

جماعة من الثقات أحاديث منكرة. وقال العباس بن محمد: سمعت بعض أصحابنا يقول قالت جارية الهيثم: كان مولاي يقوم عامة الليل يصلي فإذا أصبح جلس يكذب.

وفي الجملة فليست هذه الحكاية المذكورة عن الأعرابي مما تقوم به حجة لأن إسنادها مظلم مختلق ولفظها مختلف أيضا، ولو كانت ثابتةً لم تكن فيها حجة على مطلوب المعترض ولا يصلح الاحتجاج بمثل هذه الحكاية ولا الاعتماد على مثلها عند أهل العلم. وهي في الجملة حكاية لا يثبت بها حكم شرعي لاسيما في مثل هذا الأمر الذي لو كان مشروعاً مندوباً لكان الصحابة والتابعون أعلم به وأعمل به من غيرهم.

وأما سند ابن النجار ففيه أيضاً مجاهيل غير معروفين ابتداءً من شيخه إلى محمد بن حرب الهلالي، قال شيخ الاسلام في «اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم» قال ما نصه: «ولم يكن أحد من السلف يأتي إلى قبر نبي أو غير نبي لأجل الدعاء عنده، ولا كان الصحابة يقصدون الدعاء عند قبر النبي ﷺ ولا عند قبر غيره من الأنبياء، وإنما كانوا يصلون ويسلمون على النبي ﷺ وعلى صاحبيه رضي الله عنهما، واتفق الأئمة على أنه إذا دُعِيَ بمسجد النبي ﷺ لا يستقبل قبره، وتنازعوا عند السلام عليه فقال مالك وأحمد وغيرهما: يستقبل قبره ويسلم عليه، وقال أبو حنيفة: لا يستقبل القبلة ويسلم عليه.» انتهى كلامه.

* * *

هـذا وقـد أغنـانـا الله عزوجـل عما حرم من التوسلات الشركية والبـدعية بما شرع لنـا من التوسل المشروع وهو التوسل بأسمائه الحسنى وصفاته العلا. قال الله تعالى ﴿ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها﴾ وكذلك شرع لنا التوسل إليه بالأعمال الصالحة من دعائه وطاعته واتباع رسوله عليه الصلاة والسـلام وحبه والإيمان به كما في حديث أصحاب الغار الذين توسلوا إليه لما وقعـوا في الشـدة بأعمالهم الصالحة ففرج عليهم. قال الله

تعالى : ﴿**يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة وجاهدوا في سبيله لعلكم تفلحون**﴾ وقد أجمع الصحابة والتابعون لهم باحسان أن الوسيلة إليه تعالى في هذه الآية هي طاعة الله تعالى بما شرع والانتهاء عما نهى عنه ومنع . وقال تعالى : ﴿**ادعوني أستجب لكم**﴾ الآية .

فهذا هو التوسل المشروع ، وأما التوسل غير المشروع فهو قسمان :

١ـ توسل شركي ، كالحلف بغير الله ودعاء غير الله ، قال الله تعالى : ﴿**إذا مسكم الضر ضل من تدعون إلا إياه**﴾ وقال ﴿**أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض أإله مع الله تعالى الله عما يشركون**﴾ .

وكذلك الاستغاثة والاستعاذة بغير الله وتعليق التمائم والحلقات والطيرة هذه كلها من الشرك . لا يجوز لمؤمنٍ بالله أن يصرف الاستغاثة والذبح والاستعاذة لغير الله ، فمن صرف شيئاً منها لغير الله فقد أشرك كما جاءت به النصوص .

٢ـ التوسل البدعي ، كأن يقول توسلت بجاه فلان أو بحرمته أو بحقه عليك أو بفضله أو بعلمه ، فإن هذه الألفاظ بدعية لم ينقل عن النبي ﷺ في واحدٍ منها شيءٌ صحيح ولا حسن ، بل كل ما نقل في هذا الباب موضوع أو ضعيف جداً لا يصلح للاحتجاج به ، أو صحيح خارج عن الموضوع كما تقدم في توسل عمر رضي الله عنه بالعباس وكما في حديث الأعمى على القول بصحته .

ونسأل الله العلي القدير أن يلهمنا الصواب في القول والعمل ويجنبنا الخطأ والزلل ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه ومن تبعهم بإحسان ، آمين .